صاحبها ومحررها
سلامة موسى
المجلد الاول



العدد الثانى
من
السنة السادسة

فبراير ١٩٣٧

سير الحوادث

جرت فى الشهر الماضى حركة عامة بين طبقات الشعب بدأ بهـا الرئيس الجليل ثم سار فى أثره الموظفون ثم سائر الطبقات . والغاية من هذه الحركة جمع المال للدفاع الوطنى عن طريق التبرع وقدخرج الموظفون عن مرتب شهر وتقدم أعيان الامة بمبالغ يؤبه بها

وليست الحكومة فى حاجة الى المال فان الاحتياطى لايزال سليما . ولكن لهذه الحركة مغزاها من ناحية تربية الامة على المسئوليات الجديدة . فان الامة يجب أن تعرف أنها تضطلع الآن بالدفاع الجوى والبرى والبحرى عن الوطن ويجب أن يتطوع ابنائهـا للجندية كما يتبرع أغنياؤها بالمال . وأقصى ماسوف يجمع من هذه التبرعات هو مليون أو مليون ونصف المليون . وهو مبلغ ضئيل من حيث الاعداد الحربى ولكن قيمة الحركة كبيرة من ناحية الأخلاق

زوار من العراق

زارنا زوار من العراق فى الشهر الماضى فصرحوا لنا عما يرون من الرجعية المتفشية فى مصر وعن الهزء الواضح فيما يقال عن قيادة مصر للامم العربية . فان مصر الان من ناحية الرقى الحديث دون كثير من الاقطار العربية . ففى لبنان مثلا لايقل القارئون عن ٩٥ فى الماية . وفى العراق يتخذ الشبان القبعة بدلا من السدارة أو الفيصلية . والحركة الصناعية فى سوريا تتفوق على حركتنا الصناعية تفوقا عظيما . والمرأة البنانية لاتختلف من المرأة الاوربية . واتجاه الادباء فى فلسطين والعراق وسوريا هو اتجاه حسن بعيد عن الرجعية

ولا نستطيع أن نقول أن مصر تجارى هذه الأقطار فى هذا الرقى . فان أدبنا ينحو نحو القديم وهو رجعى فى أسلوبه وغايته . ووطنيتنا الثقافية ليست هذا العالم المنتج الحديث وانما هى وطنية تعود الى الدولة العباسية . وقد أصبحت دار العلوم تتحدث عن الغاء تعليم اللغة الأجنبية فى مدارسنا الابتدائية كأننا يجب أن نقتنع باللغة العربية . ودعاة القبعة فى مصر لا يجدون غير السخرية ومعظم المؤلفات تخرج عن الشعر القديم والأدب القديم والأندلس القديم والعباسيين والأمويين

وقد دهش هؤلاء الزائرون حين رأوا أن وزارة المعارف تنفق ألوف الجنيهات على طبع الكتب العربية القديمة بدلا من ترجمة الكتب الاوربية الحديثة . كما دهشوا أيضا عند ما رأوا مظاهرة الازهريين وتخطى شيخ الازهر رؤساءه من الوزراء ومخاطبته لحاكم السودان عن التبشير فى السودان

والحق أن حالنا من جميع هذه النواحى تستحق التأمل الجدى

اليوت سمث

توفى الشهر الماضى الاستاذ اليوت سمث . وقراء هذه المجلة يعرفونه بنظريته التى أخذ بها جميع الارخيلوجيون وهى ان مصر هى الاصل فى الحضارة القديمة وأن وادى انيل هو الذي أخرج الانسان من العصر الحجري الى عصر الحضارة الاولى



اليوت سمث

وقد كان اليوت سمث أستاذاً للتشريح فى « مدرسة » الطب المصرية قبل نحو ثلاثين سنة ثم عين بعد ذلك أستاذا لهذا العلم نفسه فى جامعة كمبردج . وكان الى جنب تعمقه فى درس التشريح المقارن يدرس التواريخ القديمة درس الاستقصاء

ولعل قراءنا يستغربون اذا علموا انه ألف كتابا كاملا عن صورة لفيل وجدت فى الآثار الامريكية

وفضل اليوت سمث علينا نحن المصريين كبير جداً فانه أنارنا عن مجد آبائنا كما أنار العالم المتمدن عن أصل الحضارة . وأعطى وطنيتنا كرامة تاريخية فى وقت لم نكن نجد فيه من التاريخ — فى زعم

الأوباش — غير الهوان . وقد وضعنا كتاباً عن أصل الحضارة وتسلسلها من مصر بناء على ما درسناه من هذا العالم . ولكنا ما زلنا نؤمل أن يقوم غيرنا بتفصيل ما لخصناه

الواجب الادبى

كتب الدكتور زكى أبو شادى يقول :

تحدث الدكتور طه حسين فى محاضرة مفيدة عن واجبنا الادبى بعد المعاهدة ، فدعا السامعين الى الاقبال على العهد الجديد بعزم جديد ، وايمان بالواجب جديد ، ودعا الادباء والمتأدبين الى ترك العبارات المنمقة ، والى الاهتمام بالآمال والمثل والاحلام ، وارتأى ان تقصير الادب يرجع الى نقص الحرية ، وناشد السامعين فى أن يكونوا أحراراً اذا كتبوا أو ألفوا ، وأن يتحصنوا بالاستقلال ، ويترجموا عن البيئة ، ويتساموا الى المثل الانسانى . وخطاب الدكتور مقصور على جماعة من الادباء يعيشون فى أمن ودعة وخفض من العيش ، وهؤلاء فى مصر قلال ، فان أغلب الادباء فى مصر يحترفون حرفة أخرى غير الادب ، وبخاصة السياسة والصحافة — وليس لدينا الاديب الذى يعيش من الادب ، وفى اعتقادنا أن تأخر الادب راجع الى عدم تحرر الادباء من حرفهم الاخرى التى يجدون فيها تعباً ، ولا يجدون للأدب وقتاً ، فلا بد أن نتجه الى التفكير بادىء الرأى فى تأمين الادباء — هذا هو الواجب الاول للحكومة بعد المعاهدة ، أما اذا ظل الادباء فى أسر المادة ، وفى عبودية الوظيفة أو المهنة ، فانه من العسير أن يبلغ الاديب حريته أو ينال استقلاله ، واذا كان الجوع كما يقول المثل الفرنسى يخرج الذئب من الغاب ، فان الحاجة تخرج الاديب من الفن ، وتبعاً لهذا فمن أول الواجبات رعاية الادباء ومعاونتهم وتشجيعهم التشجيع المادى والمعنوى — واذا كان من بين أعمال المجمع اللغوى القيام بمعاونة الادباء فانا لنتمنى عليه أن تكون هذه المعاونة حقيقية ومتجردة عن الغاية وعن التحزب أو المحاباة ، بل لوجه الادب الخالص ، وللتشجيع البرىء على الانتاج

الاسكندرونة

نشب خلاف بين السوريين والأتراك على سنجق الاسكندرونة . وانتهى الخلاف إلى عصبة الامم التى قررت بالاتفاق مع فرنسا الدولة المنتدبة :

١ — أن يعين رئيس الجمهورية السورية محافظ الاسكندرونة

٢ — أن يشترك نواب الاسكندرونة فى مجلس النواب السورى

٣ — أن تسرى قوانين سوريا على الاسكندرونة

ولكن هذه هي الظواهر والقشور . اما الباطن والجوهر فيجعل الاسكندرونة مدينة تركية ممتقلة على نحو النظام السائد فى دانتسيج . بل لايعلم إلى الآن إذا كان سيسمح باستعمال اللغة العربية إلى جنب اللغة التركية . ولكن يجب الاعتراف بأن أكثرية السنجق من الاتراك


جندى مراكشى فى أسبانيا

اسبانيا

لايزال فرانكو الى الآن على أبواب مدريد . ولكن يبدو من الأخبار الأخيرة أنه يزداد عدة وعتاد وجنودا بما سبق أن ورد اليه من المانيا وايطاليا وبما عنده الآن من متطوعى الأجانب والجنود المراكشيين

وهؤلاء الجنود المراكشيون هم أعظم قوة يعتمد عليها . والمظنون ان يتمكن من فتح مدريد قريبا . ولكن يبقى عليه بعد ذلك نصف اسبانيا الشرق . ومن المستبعد جدا أن يستطيع التغلب عليه

روسيا واليابان

يشتد النزاع بين روسيا واليابان . وقد ظهر هذا النزاع بشكلين مختلفين فى كل منهما ففى الاولى عقدت محاكمات لعدد كبير من الزعماء الذين اتهموا بممالاة المانيا واليابان أو العمل تحت ارشاد الشيوعى تروتسكى الذى يقيم الآن فى مكسيكا وقد انتهت المحاكمة بالحكم بالاعدام على ١٣ زعيما . وفى الثانية قلب الحزب العسكرى الوزارة اليابانية بدعوى ضعفها وعجزها عن تقوية الجيش

والنية سيئة من الطرفين ولا يمنعهما عن الحرب غير الخوف من الهزيمة لان كلا منهما تشعر أن الاخرى أقوى منها

اربع سنوات من الوطنية الاشتراكية

احتفل الالمان يوم ٣٠ يناير الماضى بمرور اربع سنوات على الوطنية الاشتراكية بزعامة هتلر. وقد أعيد انتخابه رئيسا للدولة أربع سنوات أخرى ومهما قال الناقدون فان مما لاشك فيه أن الالمان راضون عن هذا الحكم. وما انتقص من حريتهم قد زاد فى زيادة الطعام للسكان والكرامة للوطن. فان الحالة الاقتصادية فى المانيا هى أفضل مايمكن تخيله فى الظروف الحاضرة. وقد صدق الزعيم حين قال انه تسلم البلاد وفيها نحو ستة ملايين عاطل وليس بها الآن شىء خطير من العطل كما تسلم الوطن وهو ذليل مهان أمام الدول وها هو يثبت كرامته بل عزته أمام اوربا جميعها. وقد استطاعت المانيا فى هذه السنوات الاربع أن تقيم اقتصادياتها على أساس وطنى بحيث تستغنى عن معظم المواد الاولية كما استطاعت ان تنعش الزراعة وتعيد اليها مكانتها ازاء التقدم الصناعى

تمثال رأس أخناتون فى متحف برلين

حاجتنا الى الفن

للاستاذ محمود تيمور

نحن فى حاجة الى الفن؟ سؤال يتردد كثيرا على ألسنتا ولايجد منا إلا أجوبة متناقضة . فهل نحن حقا فى حاجة ماسة الى الفن ؟ هل هو عامل أساسى فى حياتنا لايمكننا الاستغناء عنه ، أم هو أمر ثانوى نلجأ اليه للترفيه عن أنفسنا فقط ؟

الفن كما هو معروف ومصطلح عليه بيننا هو كل ماتضمه الآداب من شعر وقصص ودرامة وما اليها . وما تحويه الفنون الجميلة من تصوير ونحت وتمثيل وما شابهها . فاذا أردنا أن نصوغ السؤال على صيغة أوضح قلنا : هل وجود قصيدة لشاعر أو لوحة لمصور او تمثال لنحات لازم لنا فى الحياة لزوم مصل من الأمصال معد لمكافحة مرض عضال . او قنطرة هندسية لتنظيم الرى لقطر زراعى ؟ وهل لوجود الفنانين من شعراء ودراميين ومثالين نفع للهيئة الاجتماعية يماثل نفع الأطباء والمهندسين ؟!

هذا هو موضوع حديثنا

أول شيء نريد معرفته هو : ماهو الفن ؟ ولوضع تعريف صحيح للفن يجب أن نعرض أمامنا عملا فنياً ونحلله لنصل الى حقيقته ومبلغ نفعه لنا

فهذه قصيدة من الشعر لشاعر فنان . يصف لنا فيها حديقة زاهرة بالورود . يستطيع أى انسان ليس من ذوي الفنون أن يصف لنا هذه الحديقة وصفاً لايتعدى ماتجده فى قائمة المزادات والبيوع وصفاً لايترك أى أثر فى نفوسنا . أما الشاعر الفنان فهو يقدم لنا صورة طريفة مبتكرة عن هذه الحديقة . يصفها لنا فى موسيقية أخاذة معدداً لنا محاسنها كاشفا لنا عن جمالها الحقيقى . ثم يأخذ بيدنا ويدخل معنا عالم الورود السحرى ويدعنا نعيش فيه برهة من الزمن . فهذه زهرة طفلة تبدأ حياتها فى طمأنينة وهدوء . وتلك زهرة شابة قد انتزعتها يد عاتية والقتها فى مواطىء الأقدام . هذه تبتسم مرحة تنشر حولها عبيرها الجميل . وتلك تجمع أوراقها الذابلة حول نفسها تحاول الاحتفاظ بما بقى لها من شباب ذابل فان . نسير بين هذه الكائنات اللطيفة نصغى الى همساتها المطربة والى نواحها المحزن . نشاركها سرورها وأحزانها وألعابها مستمتعين دائما بجمالها الفتان

لقد شعرنا ونحن نقرأ هذه القصيدة بشيء يتحرك فى قرارة نفوسنا ، بشيء كان نائما ، فلمسه

هذا الشاعر وأيقظه . هذا الشيء هو الشعور بجمال هذه الورود . والاحساس نحوها بألفة عجيبة برباط روحي سام

لقد كشف لنا هذا الشاعر الفنان عن الجمال فى ناحية من نواحي هذا الوجود . وجعلنا نتذوق هذا الجمال فى سرور . وأيقظ فى قلوبنا عاطفة الحب السامية نحو مظهر من مظاهر الطبيعة

فغاية الفن الكشف عن الجمال وتسجيل مظاهره وتذوق فتنته . ومتى تذوقنا فتنة الشيء أحببناه . فالجمال والحب كلمتان كل منهما متممة للاخرى . فليس هناك جمال بلا حب ، وليس هناك حب بلا جمال . فالشيء الجميل هو الذى يشعرنا بالجمال والحب . ونحن لانحب إلا الشيء الجميل . فالفن إذن هو الذى يشعرنا بالجمال والحب . فما هو الجمال ؟ وما هو الحب ؟ لايمكننا أن نعرف الجمال تعريفاً معيناً له قواعد ثابتة ، وخطوط محدودة . فالجمال نسبي ، وقد يختلف باختلاف الزمان والمكان . على أننا يمكننا أن نعرفه تعريفاً عاما فنقول :

هو ذلك الذى يحوي من التناسق المادى أو الروحي مايشعرنا بلذة وسرور عند رؤيته . فهذه صورة هرم قد طحنته السنون استطاع مصورها الفنان أن يشعرنا بجمالها . ففى الهرم جمال يماثل جمال الشباب وجمال الطفولة . والطبيعة تزخر بألوان من الجمال لاحد لها ، ووظيفة الفنان أن يكشف لنا عنها وينبهنا إلى وجودها ويحببها لنا . فهناك جمال فى الطهارة ، جمال فى الشجاعة ، جمال فى الحيوان ، جمال فى الجماد ! جمال فى الشيء العظيم جمال فى الشيء التافه الصغير مادام فيه تناسق مادي أو روحي يستطيع ان يبعث فينا اللذة والسرور

هذا هو الجمال . فما هو الحب ؟ الحب فى معناه الأصلى هو الجاذبية . فهذان الشخصان يشعر كل منهما بحب للآخر ، أى أن كلا منهما فيه جاذبية تجذب رفيقه اليه . والانسان إذا أحب رغب — بلا جدال — فى خير حبيبه . ولا يمكننا أن نتصور محباً يضمر الشر لمن يحبه . فالحب إذن غايته الخير . ولما كان الفن غايته الحب ، فالفن إذن يرمى دائما إلى الخير . ولا يكون الفن فناً إلا إذا كانت وجهته الخير . والفنان لايكون فناناً إلا اذا كان الخير وحى فنه وغايته

ولكننا نلاحظ أن الفن لم يقصر غايته على اظهار الناحية الجميلة فى الحياة . فكثيرا مارسم لنا الفنان صورة كريهة تمثل القسوة والشر . فكيف يكون فى هذه اللوحة جمال وهى بعيدة البعد كله عن الحب والجمال والخير ؟ الحقيقة أن هذه اللوحة ليس فيها جمال ظاهر . ولكن الفنان الذى صورها رمى من غير وعى إلى اظهار روعة الجمال من طريق غير مباشر . فهو رسم لنا القسوة ليشعرنا بالرحمة من حيث لايدري ، وحدثنا عن الدنس لنحس بالطهارة . فالشيء لايعرف إلا بضده ولو كان العالم كله خيراً صرفاً لفقد هذا الخير قيمته ، ولما استطعنا تذوق جماله . ولا يغيب عن

نظرنا أن الفنان ناقد قبل كل شيء ، فهو يعبر لنا في صدق واخلاص مما يحس به نحو ما في هذا العالم من حسن وقبيح . ويصوره لنا تصويراً صادقاً . فالغاية التي يرمى اليها في الحقيقة هي الجمال يسلك اليه الطريق الذي يريد

وهناك تفسير آخر لهذه المسألة . أمامنا رواية يحدثنا فيها مؤلفها الفنان عن شخصيات مجرمة شريرة . ويحللها أمامنا فنرى نفوسها على حقيقتهـا وكيف تتطور في سبيل الاجرام وحمل الشر . وكلما تابعنا قراءتنا وتعمقنا في دراستنا لهذه الشخصيات شعرنا باحساس عطف غريب نحوها . لقد كشف لنـا الفنان في شخصية المجرم عن مريض تعس ظلمتـه الاقدار . مريض اضطرته احوال وراثته وبيئته أن يغدو شريراً . ثم تألبت عليـه قوانين البشر تطارده وتستحل تعذيبه . فكيف لانستشعر الرحمة له

لقد استطاع الفنان أن يثير فينا هذه العاطفة السامية، لان قلبه هو عامر بالحب الانساني العظيم — عامر بالحب لهذه المخلوقات جبلة كانت أودميمة . والفنان المجرد من هذه العاطفة الانسانية السامية لايكون فنانا . ونحن لا نتصور وجود مؤلف فنان يضمر البغض لشخصيات رواياته . فما هذه الشخصيات إلا مخلوقات من صنع يده ، هو خالقها ومبدعها . فكيف يبغض الخالق مخلوقا من صنعه

والآن وقد وصلنا إلى هذه النقطة الدقيقة — نقطة الخير والشر واتصالهما بالفن — نرى أن نستوفى البحث فيها قبل الانتقال الى غيرها . فما هو الخير وما هو الشر ؟

الخير في معناه الأصلي هو الذي يقصد إلى المنفعة . فالشر منطقيا هو الذي يقصد الى الضرر . وقد سمينا بعض الصفات فضائل أي صفات خيرة لأننا رأيناها نافعـة لتقدم البشرية . وسمينا الأخرى رذائل أي صفات شريرة لأننا رأيناها مضرة بالانسانيه . ولنضرب لذلك مثلا . فالانسان في بداءته ، عند ما كان همجياً يحيا حياة عزلة وانفراد كان يستحل القتل ويراه من ضرورات حياته . يقتل ليسلب اخاه الآدمي طعامه أو امرأته أو ما شابههما . وظل الامر كذلك حتى شعر الانسان بفائدة التعاون مع غيره ، وكون معه أول هيئة من الهيئات الاجتماعية ، وحينئذ عد القتل في دائرة هذه الهيئة شراً غير مسموح به . وصار عدم الاعتداء فضيلة واجبة الاحترام لأن فيها تأمينا لحياته وحياة رفاقه . ولـكن قتل الآخرين ممن هم خارجون عن حلقته بقي فضيلة من أشرف الفضائل . ومن يستطيع أن يسمى المحارب الذي يذود عن وطنه سفاكا قاتلا ؟ وقس على ذلك جميع الفضائل بلا استثناء ، فليست هناك فضيلة واحدة فيها معنى الفضيلة لذاتها بل لفائدتها للمجتمع . اذن فكل شيء نافع لنا هو خير . وكل شيء مضر بنا هو شر

ونحن إذا نظرنا إلى حالة هذا الكون وما يشتمل عليه من جماد ونبات وحيوان وإنسان وجدناه

دائما فى تقدم ورقى . فهو يتطور نحو الكمال فى اطراد . وهذا أمر يكاد يكون ملموساً . فأين دنيا سنة ٣٧ من دنيا قبل التاريخ . فنظرية التطور تحوى عنصر المنفعة وإلا لما كان هناك تطور . وبما أن الخير هو المنفعة فالعالم يسير مدفوعا بعامل الخير أي أن نزعة الخير هى التى تسوده . فهل هذا معناه أن الشر معدوم . كلا . ولكنه خاضع لعامل الخير الأكبر

فهذه الحروب بفظاعتها وويلاتها هى فى ذاتها شر . ولكنه شر تعتمد عليه الانسانية فى سيرها نحو الكمال . فلولا الحروب لما بقيت الأمم النافعة . ولولاها لما انتشرت المدنيات ولما عمت قوانين الخير . وهذه الطبيعة قد اتخذت لها قانون تنازع البقاء وبقاء الاصلح . وهو قانون فيه قسوة وشر ولكن لولاه لما استطاع العالم أن يخطو فى سبيل رقيه خطوة واحدة

وقد وقعت وما زالت تقع كوارث طبيعية كالزلازل والبراكين وطغيان الانهر والبحور . هذه الكوارث يقف أمامها الانسان حائراً مدهوشاً يسائل نفسه أين نزعة الخير فيها . ليست هذه الكوارث فى الواقع خيرا صرفاً ، ولكنها وسائل قاسية لجأت اليها الطبيعة لتصلح من أمر نفسها . هى فى الحقيقة إحدى ظواهر التطور الطبيعى للكرة الارضية لولا وقوعها لما أصبحت الكرة الارضية فى شكلها ونظامها الحالى بجبالها ووهادها وأنهارها وبحورها وما هذه الزلازل والانفجارات التى مازلنا نسمع بحدوثها إلا بقايا ذلك العهد الغابر الجبار — عهد تكوين الكرة الارضية — فالتطور لابد له من ضحايا . ولا يمكنه أن يتم عمله العظيم إلا إذا سار على أشلاء قتلاه . ولكنه دائما يسير ووجهته الخير العام

فهذا الشر الذى نسميه شرا ماهو فى الحقيقه إلا أداة من أدوات الخير مادام من ورائه تقدم العالم ورقى البشرية . وما أحرانا أن نسمى هذا الشر قسوة خالصة . فنحن نحب أولادنا ولكن حبنا لهم لايمنعنا من أن نقسو عليهم فى سبيل نفعهم

ولكن لايغيب عن بالنا أن فى العالم شروراً أخرى تأتى أهميتها فى المقام الثانى من حيث خطرها على تطور الحياة وارتقائها . وهذه الشرور تقع فى المعاملة وتبادل المنافع الشخصيه كالسرقة والاحتيال وما شابههما

ونحن إذا تصفحنا تاريخ دولة المماليك فى مصر راعنا ما نجده فيه من روعة الفن . فليس من ينكر أن سلاطين المماليك الذين حكموا مصر قبل الفتح العثمانى كانوا من المحبين للفنون ، ينشدونها فى مسكنهم وملبسهم ومختلف مظاهر حياتهم ، فخلقوا هذا التراث المجيد من آثارهم فى البناء والزخرفة . ولكن هذا لم يمنعهم من أن يكونوا قساة يحكمون بالدم . فكيف اتفق الفن والشر ؟ فجوابا على ذلك نقول : لم لا تكون نزعة الملوك الأصيلة نزعة خيرة فى ذاتها ؟ وما دفعه فى هذا

السبيل الدامى سوى بصيرته أى — واعيته الخفية — التى رأت ان لا مندوحة للقضاء على الفتن واستتباب الامن وإنشاء دولة قوية إلا بهذه الوسائل القاسية . إن النزعة المسيطرة على هذا الوجود هى النزعة الخيرة . أو بعبارة أخرى إن بذرة الخير بذرة أصيلة كامنة فى تلافيف هذا العالم وهى التى تسير به دائماً إلى هدف معين هو منفعته ورقيه . بذرة الخير هذه موجودة فى كل الكائنات صغيرها وكبيرها حقيرها وعظيمها . فهذه الذرات التى يتكون منها جميع ما فى هذا العالم من الكائنات مكونة من كهارب يسير بعضها حول بعض وتسير حول نفسها فى حركات هى أرقى ما وصل اليه الجمال . وهى فى حركاتها متماسكة بقوة الجاذبية أى بقوة الحب . ومن هذا التناسق وهذه الجاذبية تكونت العوالم كافة بشموسها وأفلاكها ونباتها وحيوانها وشعوبها ومدنياتها . الكل يتحرك ويسير فى نظام جميل متجها دائما نحو الخير . فالله خلق العالم على أساس الحب والجمال . والله لا يخلق إلا الجميل ولا يودع مخلوقاته إلا الحب . إذ أنه سبحانه وتعالى المثل الأعلى للحب والجمال

فتشوا فى هذا العالم عن الدميم — بالمعنى الواسع لهذه الكلمة — فلن تقفوا له على أثر . إن الجمال يغمر كل شىء فى الوجود . تكاد تلمسه فى أتفه الكائنات وأعظمها كما سبق لنا القول . فهذه حشرة صغيرة ليس فيها ما يجذب نظرنا . إذا أمسكناها وتفحصناها فى عناية رأينا من دقيق صنعها ونظام تركيبها ما يذهل العقول وعددناها إحدى معجزات الجمال . وهذه القطعة الصغيرة من الحجر إذا فتتناها وتفحصنا دقائقها بالميكروسكوب وجدنا أنفسنا أمام عالم كبير يزخر بصنوف شتى من ألوان الجمال . فعابر السبيل الذى يمر بهذا الحجر ويركله استخفافا به واحتقاراً له ما أحراه أن يأخذه ويقبله إذ هو لا يقل عنه بهاء وجمالا

وقبل أن نختم كلمتنا فى هذه النقطة نريد أن نذكر علاقة الفن بالغريزة الجنسية . فنقول : إن هذه الغريزة قوامها الجاذبية . وقد فسرنا الحب بأنه جاذبية أى ان ينجذب شخص نحو آخر تدفعه تلك القوة الروحية التى نسميها أحيانا بالفتنة . وبما أن غاية الفن هى الحب فالغريزة الجنسية قوامها الفن باعتبار انها تفاعل أساسه الحب الذي هو إحدى غايات الفن والجمال . فاذا علمنا ما للغريزة الجنسية من الخطر فى حياتنا إذ يتوقف عليها نظام البشرية كله اقتنعنا بأن الفن عامل أساسى لحياة هذا المجتمع

نستنتج مما تقدم كله أن العالم وما يحويه من كائنات حية أو غير حية مدين لعامل الحب والجمال بوجوده أولا ، وبتقدمه ثانياً

ولنعد الآن إلى سؤالنا الأول : أنحن فى حاجة إلى الفن ؟ الخطأ الشائع اننا نظن أن الفن شىء اكتسابى كالعلوم مثلا . والحقيقة كما بينا أنه كائن فى نفوسنا وهو جزء منا . فالمفاصلة بينه وبين

العلم مفاضلة غير مقبولة . فلحياة الانسان ناحيتان مادية وروحية . ومما لاشك فيه أن الناحية المادية تشغل حيزاً هاما من تفكيره فلا يمكن بأى حال أن يهمل مطالبهـا لتعلقها بتيسير وسائل حياته . ولـكن للناحية الروحية مكانها الذى لا غنى عنه مطلقا إذ منها يستمد وحيه فى انشاءاته المادية ، وعلى هذه الناحية الروحية يتوقف توفيقه ونجاحه فيما يقدمه من اختراعات وما ينشئه من مؤسسات . وقد استطاعت البشرية أن تحيا الحقب الطويلة وتجتاز أشد الأهوال فى عصورها المختلفة وهى فى غير حاجة الى الأمصال الطبية أو القناطر الهندسية . ولـكنهـا لم تستغن لحظة عن الفن . فنحن إذا جردنا العالم من الفن فماذا يبقى أمامنا غير العدم والفناء

فأحرى بنا وقد وضح هذا أن نصوغ سؤالنا على النحو الآتى : ماهى الوسائل التى نحتـاج اليها لايقاظ روح الفن الـكامنة فى نفوسنا وتنميتها وازدهارها

الناس فريقان . فريق فنان ، وفريق غير فنان ، هذا باعتبار أن بذرة الفن مخلوقة فينا كما أوضحنا . ولـكن بذرة الفن فى الفريق الاول يقظة نامية وفى الفريق الثانى هامدة منـكمشة . ويمتاز الفنان على سواه من عامة الناس بأن شعوره بالحب والجمال قوى جامح ، فهو مرهف الحس ، دقيق العاطفة ، غير أن ليس هذا كل ما يمتاز به الفنان عن سواه . فهناك شىء أساسى لا يستغنى عنه هذا الفنان وهو القدرة على التعبير عما يحس به فى أسلوب شائق وشكل حسن . فهذا محب صادق فى عواطفه يقف أمام محبوبته يشكو لها غرامه . فلا يجد عنده إلا كلمة : « أحبك » يذكرها فى تـكرار ممل يثير سخط محبوبته فى النهاية عليه فتقصيه عنها . على حين نجد محباً صادقا فى عواطفه كالأول ولـكنه يمتاز عنه بمقدرته على التعبير عن حبه فى أسلوب جميل أخاذ . فالأول مثل الفنان الناقص . والثانى مثل الفنان الـكامل . وكلما قوى شعور الحب والجمال فى الفنان وعظمت قدرته على التعبير كبر فنه وعلا . وإنى حين أذكر الفنان لا أخص هذا الشخص المشتغل بالفنون الجميلة مثل الموسيقى والشاعر والمثال ، بل أقصد كل انسان نستطيع أن نلمس فى عمله أيا كان هذا العمل ، الشعور بالجمال والقوة فى التعبير عن هذا الجمال . فليس كل موسيقى فنانا . ولـكن من الموسيقيين من هم فنانون وغير فنـانين . أعنى عمال فن . وليس كل أديب فنانا . فهناك الأديب الصادق فى فنه والأديب المهرج فى أدبه . ويمكننا أن نطبق هذه النظرية على كل فئة من فئات الناس مهما اختلفت أنواعها ودرجاتها . ففى فئة المزارعين نجد المزارع الفنان والمزارع غير الفنان . فالأول هو الذى يزرع أرضه على طريقة من التناسق والنظام والعناية تشعرك لأول وهلة أنه يحب الجمال وأنه استطاع أن يعبر عنه فى طرافة وابتـكار . وهذا المزارع ناجح وسعيد فى حياته ، ما من ذلك بد . وبين فئة الموظفين نجد الموظف الفنان والموظف غـير الفنان . فالأول هو الذى يعنى بعمله عنايته بأحب شىء عنده ويجتهد فى تنميقه

ولا يرضى أن يقدمه إلا اذا كان على الوجه الأمثل فى التفكير والصياغة . فهذا الموظف متقدم دائما فى عمله ناجح دائما فى حياته . وهذا الطاهى الذى يقدم لك طعاما متقنا لذيذا يشعرك بمسرة ورضا ، أليس هو فنانا ؟ أليس طهيه الطعام على هذا الوجه فنا جيلا . وهناك فى حياتنا الخاصة — حياتنا المنزلية . نجد الزوج الفنان والزوجة الفنانة ، وكذلك نجد الأزواج والزوجات غير الفنانين . اما الفنان زوجا كان او زوجة فهو الذى لا يقبل ان يعيش إلا فى مكان جميل ولا يحيا الا بأسلوب فى الحياة جميل . وليس لقلة النقود — كما يدعى البعض — تأثير كبير فى ذلك . فربما دخلت منزلاً لأسرة متوسطة الحال او فقيرة فرأيته نظيفا منسقا فى ذوق جميل على بساطة أثاثه . فارتاح له نظرك وابتهج له قلبك . وقد يكون على العكس منه ذلك القصر المنيف المكدس بالأثاث الثمين حيث لا نظافة ولا نظام ولا ذوق سليم . حيث تتمثل فيه البشاعة فى أجلى مظاهرها

قلنا انه كلما هوي شعور الحب والجمال فى الفنان وعظمت قدرته على التعبير كبر فنه وعلا . فالفنانون اذن ليسوا درجه واحدة . ويمكننا تقسيمهم الى ثلاثة أقسام :

فنان ، ونابغه ، وعبقرى

فنحن نستطيع بوسائل خاصة أن نجعل من الانسان العادى فنانا ، وذلك بان نوقظ فيه حاسة الجمال والقدرة على التعبير عن هذا الجمال . هذا الفنان هو الذى يعنينا أمره أكثر من الآخرين لأنه يكوّن المواد الأعظم من الأمة . أما النابغة فيولد وحاسة الحب والجمال فيه مستيقظة . وله مواهب خاصة يعبر بها عما يحس به . ولكنه يطلب منا أن ننمى له مواهبه ونوجهه الى السبيل الأمثل . أما العبقري فهو فى غير حاجة الى معونتنا . ولايدين لشيء غير عبقريته . والعبقرية مواهب قوية عظيمة فى قوتها تخلق مع الفنان خلقاً . والفرق بين النابغة والعبقرى أن الأول مواهبه محدودة لايمكنه أن يضرب فى طريق جديد ويبتكر ، أما الثانى فمواهبه لا حد لها وهى دائما فى تجدد واضطرام ، مشغولة بالخلق والابتكار

ولنعد الآن الى الانسان العادى لنرى كيف نستطيع أن نخلق منه فنانا . أهم وسيلة نعتمد عليها فى عملنا هى أن نلتجىء الى الفنون الجميلة الراقية ونستعملها أداة لتربية الذوق السليم . فاذا نشأ الطفل منذ ولادته — بل قبل ولادته — فى بيئة فنية انطبعت نفسه على حب الجمال لا يرضى عنه بديلا ونقصد بالبيئة الفنية أن نحيط الطفل بكل ماهو جميل ، فلا تقع عينه الا على المنظر الجميل ولا تسمع أذنه إلا اللفظ الجميل والنغمة الجميلة ، ولايلقى منا إلا المعاملة الجميلة التى تنطوى على الحنان والحب ثم نعلمه منذ صغره فناً من الفنون الجميلة

نحن لانزعم اننا نستطيع بهذه الوسيلة فى بضع سنوات أن نخلق شعبا فنانا بأسره . كأنما نخلقه

بعصا ساحر . كلا ، فان تربية الذوق الفنى فى شعب من الشعوب وجعله متأصلا راسخا فى نفسه يحتاج الى عصور . ولكن العصور فى عمر الانسانية شىء تافه . فاذا تذرعنا بالصبر والمثابرة وصلنا بلا شك الى غايتنا . فعلينا من اليوم أن نضع الخطة الانشائية لهذا العمل الخطير ، نوجه نظر الآباء والأمهات وعلماء التربية والمشرفين على أمر التعليم عندنا بان يصرفوا اهتمامهم الأكبر الى هذه الناحية الهامة . ولنجعل من بيوتنا ودور تعليمنا معاهد للفن الجميل الراقى ، فيتعلم كل طفل مايصبو اليه من غناء أو أو رقص او نحت أو تصوير أو شعر الخ . وهذا التعليم الفنى يجب أن يكون عاما شاملا لجميع تلاميذ المدرسة . فليس غرضنا تكوين فرق فنية خاصة نحصر اهتمامنا فى تعليمها وتدريبها ، لتقوم لنا فى نهاية السنة الدراسية ببعض مناظر من مناظر الاستعراض الرسمية أو القاء بعض القطع الموسيقية تنشدها فى الحافل . بل غرضنا أن يتلقى كل تلميذ من التلاميذ الفن الجميل كما يتلقى علما أساسيا فى برنامج تعليمه يلازمه فى جميع سنى دراسته حتى العليا منها . أما مدارس الفنون الخاصة فلها شأن آخر . فهى لمن يرغب فى أن يتخذ من الفن الجميل مهنة كبقية المهن يتكسب بها . ونحن فى حاجة قصوى الى مثل هذه المدارس ، فمنها يتخرج الأساتذة الذين نعتمد عليهم فى تعليم الفنون فى مدارسنا . وهى أيضا مجال فسيح لمن يريد أن يتفرغ للفن الجميل ويهب له حياته باكلها

هذا ونحن لانريد أن نتعرض لأنظمة التعليم فنفرض قوانين وأنظمة خاصة بتعلم الفنون الجميلة فان هذا من اختصاص علماء التربية والمهيمنين على أمر التعليم . فلنترك لهم الأمر يعالجونه بفطنتهم ولكننا نوجه نظرهم الى شىء جوهرى وهو أن الطالب الذى يتعلم فناً من الفنون يجب أن يعشق هذا الفن . لأنه سيكون هويته الكبرى فى الحياة . فنحن لانريد طلاء من الفن بسيطا اذا ترك تلميذ مدرسته لم يبق منه شىء . بل نريد قوة متمكنة فى نفس الطالب كشجرة راسخة جذورها كلما نما وكبر نمت وكبرت وآتت أطيب الثمر ، فالآباء والأمهات والمشرفون على تعليم الأطفال يمكنهم بدقة ملاحظاتهم لأطفالهم أن يتبينوا فيهم اتجاهاتهم الفنية فى أبسط مظاهرها ، فيعيروها اهتمامهم ويجتهدوا فى تقويتها بوسائلهم المغرية فيجدوا من الطفل استجابة سريعة لهم

وغرضنا من إعداد النشء إعداداً فنياً هو أن نغمرهم بالحب والجمال . فتصفو أذواقهم وتتهذب طباعهم وتتسامى أرواحهم دائما الى المثل العليا فيحيوا حياة راقية كلها سعادة ورخاء

وهناك فكرة خاطئة نريد أن نهاجمها فى بحثنا هذا . وهى زعم فئة من الناس أن حياة الفنان يجب أن تكون مثالا للتشرد . فلانظام ولاجمال ولانظافة فى ملبسه أو مأكله أو مسكنه . وهذه سبة عظيمة للفن يجب أن نتناصر على إبادتها من الأذهان . لأنها تبث فينا مذهباً من أشد المذاهب تقويضا لسعادتنا

الفنان هو الذى يقدر الجمال ويحبه ويعمل له ، فكيف يرضى بالدمامة مذهباً له فى حياته ؟. الفن نظام واتساق ، والفنان هو الجميل فى لفظه ، الجميل فى ملبسه ، الجميل فى مسكنه ، الجميل فى نظام حياته

نريد تكوين أمة فنية بأسرها تحس احساساً عميقاً بحبها للجمال - احساساً طبيعياً ليس فيه تكلف ولا ادعاء - نريد مثلا أن يشعر الشخص منا كيفما كانت درجته أن البصق فى الطريق جريمة ضد الجمال ، أو بالأحرى جريمة ضد الخير العام . ضد نفسه وضد بنى وطنه جميعا . نريد أن يشعر الفلاح منا بدافع نفسى طبيعى أن المسكن الذى يعيش فيه لا يصلح أن يكون حظيرة لبهيمته ، وهو المسكن الذي خلا من أى معنى من معانى الجمال . نريد أن يعلم الموسر منا أن حجرة النوم فى منزله يجب أن تضارع حجرة الزوار نظافة وأناقة وترتيبا ، وإلا فهو شخص متهم فى ذوقه منافق يكذب على نفسه وعلى غيره

يجب أن يزهى فى كل بيت من بيوتنا فن أو أكثر من الفنون الجميلة ، فرب مزمار شجى فى دار فلاح صغير أو بيان رخيم فى بيت موسر عظيم أو لوحة فنية فى قاعة من قاعات التعليم ، أعظم نفعاً وأبعد أثراً فى اصلاح الأمة وتقويم أخلاقها من تجريد جيش جرار من المعلمين . الفن أولا، ثم التعليم ثانياً . لنبدأ بتهذيب الطباع وترقيق المشاعر، وتحسين الأذواق وصقل النفوس .ثم نعلم بعد ذلك حروف الهجاء . وهل نكون فى هذه الطريقة مخالفين الطبيعة فى عملها ؟ ان الطبيعة وهبتنا الفن أولا ، ثم عنيت بعد ذلك بأمر العقل والعلم

علموا الناس كيف يجيدون الغناء والرقص ونحت التماثيل وما الى ذلك من الفنون الأخرى الراقية . فانكم ان فعلتم ضمنتم أن تجدوا لكم شعبا متفائلا ناجحا فى الحياة . شعبا لا يقبل أي لون من ألوان الدمامة فى أي ناحية من نواحى حياته اجتماعية أو سياسية أو شخصية ، شعباً جعل غايته فى الحياة المثل الأعلى للجمال

مميزات الانجليز افرادا وجماعات

للاستاذ محمد كامل سليم

« الرجل الانجليزي لغز من الألغاز » . « والانجليز غامضون غير مفهومين » . تسمع هذه العبارة وتلك فى مصر وفى فرنسا وايطاليا وفى كل مكان تنزل فيه زائراً أو مقيما . والاجماع يكاد ينعقد على أن الانجليز غريبو الأطوار . وأنهم ليسوا كسائر الآدميين من حيث الطابع الخاص الذي يميزهم من غيرهم . ومن حيث الاستجابات التى يظهرونها ازاء المؤثرات الخارجية ومن حيث نظراتهم إلى الحياة

وقد وضع بعض كبار المؤلفين كتبا شتى عن الانجليز ظهرت فى لغات عديدة وكلها تتناول هذا الشعب بالوصف الدقيق . والتحليل والتعليل . ولا أذكر شعباً آخر ظهر فى شأنه مثل هذا العدد من المؤلفات لاسيما فى السنوات العشر الاخيرة

وقد سألنى صديق أن أكتب كلمة عن الانجليز أحلل فيها ما امتازوا به من الصفات الرئيسة والنظرات الخاصة . فأجبته وجمعت طائفة مما عرفته عنهم بالمشاهدة والمطالعة والاختلاط . ورجائى أن يجد القارىء فى بعضها مايدعو للاعجاب أو الاحتذاء ويجد فى البعض الآخر ما يدعو للتفكه والابتسام

ضبط النفس

لعل أظهر ماينفرد به الأنجليزى ويظهر به على غيره « ضبط النفس » ولا سيما فى المواقف المزعجة ، والعواطف المحرجة . فهو فى الحزن الشديد لايعرف الصراخ والعويل . وعند الغضب يتريث قليلا ويصطنع الاناة ، فلا يتكلم أو يفعل شيئا الا وهو مالك لزمام نفسه أتم امتلاك

وبينا نجد المصرى مثلا حساساً شديد الاحساس . يتأثر من الانتقادات فيتألم ومن المجاملات فيبتهج ، نرى الانجليزى فى الجلة بارد الطبع لايتأثر بهذه أو تلك . فلا الانتقاد يزعجه ، ولا الذم يكربه ، ولا المدح يبهجه ، ولا الاقبال عليه يسعده . فهو هادىء النفس هدوءاً عجيبا . ولعل ذلك فى مرده يرجع الى سببين : الأول ضبط النفس والثانى شعوره الغامض بأنه فوق كل نقد وكل مديح

الغرور

يشعر الانجليز جميعا ومن غير استثناء بين المحافظين والعمال والأحرار أنهم ممتازون من سائر الآدميين . وقد سمعت فى انجلترا رجلا يقول « ان الله خلق الانجليز وبلادهم بنفسه . وترك خلق باقى الدنيا ومن فيها لمرؤوسيه »

ويعتقد الانجليزى أن القضاء الانجليزي أعدل قضاء ، والسياسة الانجليزية أكرم سياسة . والطعام الانجليزي أصح طعام ، والجمال الانجليزى أفتن جمال . والمصنوعات الانجليزية أجود المصنوعات . وفى الجملة كل شىء انجليزى غاية الكمال وآية الآيات وهذا هو الغرور القومى فى جلي مظاهره ، وله عيوبه وله مزاياه . ولست الآن بمقام الأفاضة فى هذه أو تلك

المحادثة

يحاذر الأنجليزى أن يتحدث عن نفسه وعن شؤونه الخاصة . ويري أن استعمال كلمة « أنا » فى الحديث من الأمور التى لاتليق . فاذا اضطر إلى ذلك اضطراراً لم يكثر وإنما تراه يوجز إيجازاً ينطوى على الأسف المكتوم ، والحرج المكظوم . ولعله يعتبر نفسه وكل مايمت اليها بصلة عن قرب أو بعد سراً من الأسرار التى يحب اخفاؤها عن الناس وهو لذلك ينفر ممن يضطره الى الكلام عن نفسه وعن شؤونه الخاصة . ويفضل ألف مرة أن يجرى الحديث فى الشؤون العامة أو فى شئونك الخاصة اذا شئت ولم تر مانعا . وأذكر كلمة لأديب فرنسى قالها فى هذا الصدد « ان الأنجليز لايعرفون الثرثرة لأنهم لايتحدثون عن أنفسهم وشئونهم الخاصة »

التحفظ وعدم المبالغة

لم نسمع قبل أن نتصل بالأنجليز أحداً يقول « أكاد أميل إلى الظن » حين يقول غيره فى الأمم الأخري « أعتقد بكذا وبكذا » فالانجليزى هنا لايعتقد ولا يظن ولايميل إلى الظن وإنما يكاد يميل إلى الظن ، وهذا تحفظ غريب واحتراس أغرب . ولاشك أن التحفظ والتحفظات ووزن الكلمات من خصائص الرجل المتمدين المثقف الذى يعتبر الألفاظ كأنها قطع من الذهب لايجوز الاسراف فيها . بينما الرجل الساذج يظل على الفطرة ويرى الكلمات مجرد حروف . والجمل مجرد كلمات مرصوصة الاسراف فيها لايفقر ولا يسيء بل قد يغنى وينفع

ومن مظاهر هذا التحفظ العجيب أن الانجليزي لايطيق الدخول فى محادثة مع من لايعرفه ،

ولا التبسط مع من لايثق باخلاصه ، وهو يسيء الظن بكل غريب عنه

ولعل أظرف ما قرأته بهذا الصدد أن أستاذاً أجنبياً فى إحدى الجامعات الانجليزية دعى إلى حفلة عشاء ساهرة فى منزل أحد اللوردات بالريف . ركب صاحبنا الاجنبى القطار ، وما استقر فى مكانه حتى أبصر أمامه انجليزيا ظهر له من ملابسه أنه متجه مثله الى نفس الجهة . وقدحاول الاجنبي مرارا أن ينتهز الفرصة للتكلم معه فلم يستطع إلى ذلك سبيلا لأن الانجليزى ظل مكبا على كتاب يطالعه ساعة كاملة حتى وقف القطار ونزلا معا . وسار الانجليزي فى طريقه لايلوىعلى شيء وبعد قليل لحق به الاستاذ الاجنبي وسأله فى أدب جم عما اذا كان الطريق الذى يسير فيه مؤديا الىمنزل اللورد « فلان » ! فنظر اليه الانجليزى شزراً وتفرس فيه قليلا وقال : « يمكنك أن تتبعنى » فسارا معا حوالى ربع ساعة من غير أن ينبس أحدهما بكلمة إلى الآخر حتى وصلا . فشكره الاجنبي ولم يلق رداً سوى ابتسامة خفيفة وهزة بسيطة من رأس الانجليزى . ويشاء الله أن يجلس الرجلان جنبا إلى جنب فى أثناء العشاء بعد أن أجرى صاحب الدعوة مراسم التعارف بينهما . حينذاك فقط أخذا يتحدثان واستمر الانجليزى فى الحديث معه السهرة كلها . وخرج الاجنبي مذهولا من فرط الدهشة لان صاحبه الانجليزى لم يشر بكلمة واحدة إلى سفرهما معاً وسيرهما معا . كأن كل ماسبق فترة التعارف الرسمية شىء لم يكن

العقلية الانجليزية

للانجليز عقلية فريدة فذة تنفر كل النفور من النظريات والمبادىء الجامدة . ولا تقيم وزنا الا للماديات والنتائج العملية . وهذا الخلق فيهم قد أوقعهم وسيوقعهم دائما فى كثير من المتناقضات . مثال ذلك :—

فى الحكومة الانجليزية كل مميزات الجمهورية ولكن على رأسها ملك

رأينا وزارة انجليزية قومية كثرتها الساحقة من المحافظين وكان رئيسها زعيم الاشتراكيين المستر رامزى ماكدونالد سنوات عديدة

رأينا مؤتمر نزع السلاح وعلى رأسه النائب المسترهندسون ومن أعضائه رئيس الوزارة الانجليزية نفسه . ووزير الخارجية الانجليزية كذلك

والانجليز فى الواقع لايبالون الوقوع فى المتناقضات . لانهم يدينون بمبدأ واحد دونه سائر المبادىء على الاطلاق . وهذا المبدأ هو « الحصول على أحسن النتائج الممكنة » وفى سبيل هذا المبدأ المقدس يضحون بكل نظرية . وكل تقليد وكل منطق وكل حجة معقولة مقنعة

وهناك نواح أخر للعقلية الانجليزية تجعلهم يخشون حدة الذكاء ويفضلون عليها قوة شخصية . وتجعلهم يتشككون فى الاجنبي وكل شيء أجنبي

وإذا عاملت الانجليزى ببرود وجفاوة معتدلة جداً احترمك وأكبرك

وإذا لجأت إلى الثرثرة معه ، والتحمس فى الاقبال عليه احتقرك احتقارا مكتوما ونفر منك

حب النظام والمقدرة على التنظيم

هاتان ظاهرتان ناميتان عند الانجليز نموا يدعو إلى الاعجاب حقا . وكأنى بهم لم يتركوا ناحية من نواحى الحياة من غير أن يحددوا جوانبها . وينظموا القواعد التى تقوم عليها . ووضعوا الخطط التى تسير فيها . ولذا نرى الشعب الانجليزى ، أفرادا وجماعات ، أقل الشعوب عرضة للمفاجآت

وقد وضعوا قواعد ونظماً للاكل والشرب ، والرياضة والالعاب ، والاجتماعات ، والمقابلات والزيارات ، والبطاقات ، والمآتم والافراح ، والمناقشات والمخاصمات ، والمكاتبات والمخاطبات ، وكل مظهر من مظاهر النشاط الانسانى . فهم لايسكنون ولايتحركون إلاوفق قواعد معينة كأنهم جيش منظم أتم تنظيم . لايشذ عنهم شاذ بل لعلهم يسرفون فى حب التنظيم ويبلغون فيه حداً من الترمت والتزام مالا يلزم يضيق به الصدر فى بعض الاحايين . فهم مثلا لايقبلون على الحديث مع أحد إلا بعد أن تجرى بينهم وبينه مراسم التعارف التى وضعوا أصولها واتفقوا عليها فاذا لم يقدمك أحد الى انجليزى فثق بأنك ستظل بعيدا منه ، غريبا عنه لاتستطيع أن تستفيد منه شيئا وكثيرا مايسافر الرجلان منهم فى عربة واحدة فى السكك الحديدية مسافات طويلة ، ولاينبس أحدهما بكلمة للآخر خلالها ، كما رأينا آنفا . وكثيرا ماتعيش أسرتان انجليزيتان عيشة الجوار ، وتظلان من غير تزاور أو أقل اتصال سنوات عديدة حتى يتيح الله لاحداهما من يعرفها بالأخرى . وماهذا كله من سبب الا لأن « عمليـة التعارف » التى نظمت على شكل خاص لم تجر فى مجراها المعروف

وأما مقدرة الانجليز على تنظيم الاعمال العامة : فى الجمعيات والاحزاب والبرلمان واللجان ودور الحكومة وما اليها فمما يعترف بكمالها ألد أعدائهم وهم راغمون وحاسدون

اخفاء العواطف

يكاد الانجليزى يشعر بالاهانة والتحقير إذا قلت له « أنت رجل عواطف »

وليس معنى ذلك أن الانجليز لايحسون ولايشعرون . كلا . ففيهم من يحب حتى الهيام ، ومن يغضب أشد الغضب ، ومن يكره كراهة التحريم ، وانما اعتاد الانجليز جميعا كتم عواطفهم

وشهواتهم ، وكبح جماحها كبحا لامثيل له . فالمحب الولهان لايظهر إلا حبه لحبيبته ، ولايتحدث به فى المجالس . وهكذا الحاقد والكاره ، والساخط والناقم ، لايظهر أحدهم مانم عن عاطفته حتى تحين له ساعة العقاب والانتقام

والانجليزى يجب أن يوصف بالعقل لابالعاطفة . إذ العاطفة فى نظره ضعف وخور . وأما العقل وضبط النفس وكتمان المشاعر فعناصر الرجولة الكاملة ومميزات الرجل المثقف الذى يجوز الاعتماد عليه والاطمئنان اليه ان كنت صديقه ، والذى يجب عليك الحذر منه أشد الحذر ان كان عدوا لك

المساومة

الانجليز ميالون إلى المساومة فى شئونهم العامة . فتراهم فى السياسة الدولية مثلا يتقدمون دائما برغبات وطلبات معينة ثم ينزلون عن بعضها فى أثناء المحادثات أو المفاوضات طمعاً فى أن الطرف الآخر ينزل عن بعض رغباته وطلباته . وهكذا يلتقى الجميع فى منتصف الطريق . ومهارتهم الفذة قائمة على حسن تقسيمهم لمطالبهم فعندهم مطالب ينزلون عنها بسهولة فيخلقون بذلك جواً صالحا ويثبتون بها حسن استعدادهم للتفاهم وعندهم مطالب ثانوية ينزلون عنها بعد مناقشات ومجادلات وتسويفات وتهديدات . وعندهم مطالب أساسية حيوية لاينزلون عنها ولو أدى ذلك إلى الحرب . ولهم فى ذلك كله طرائق فى الدهاء والسياسة والملاينة يخفون وراءها نياتهم ومطامعهم اخفاء تاما ويكشفون بها ماعند خصومهم من مثيلاتها . والعجيب فى أمر هؤلاء القوم أنهم يخرجون دائما من كل مساومة دولية بنصيب الاسد

الحياة البيتية

لا أظننى أعرف أمة من الأمم تقدس هذه الحياة كما يقدسها الانجليز . ولا أظننى أعرف لغة من اللغات فيها معادل لكلمة Home الانجليزية . فهى كلمة تنطوي على كل معانى الحب والراحة والحنان والمتاع الحقيقي والاطمئنان الذى ليس بعده اطمئنان . وهذه الميزة عند الانجليز ان دلت على شيء فانما تدل على أن حياة الأسرة عندهم حياة هنيئة سعيدة فى مجموعها . لأنها قائمة على الحب والتعاطف والنظرة المشتركة إلى الحياة ، والتعاون البعيد المدى بين الزوجين . والانجليز الذين يعيشون فى المستعمرات وفى البلاد الأجنبية يعتبرون انجلترا كلها « بيتهم » فلا يصرحون بلفظ انجلترا وانما يذكرون كلمة « هوم » تلك الكلمة الحبيبة الى قلوبهم والتى تنطوى على كل ماذكرته آنفا من رقيق المعانى

تقديس الرياضة البدنية

يمتاز الانجليز من قديم الزمان بحب الألعاب الرياضية على اختلاف أنواعها حباً لامثيل له ولقد نقلت هـذا الحب عنهم أمم كثيرة أخص بالذكر منها أمريكا وفرنسا وألمانيا وايطاليـا حتى أصبح هذا الجيل يمجد الرياضة البدنية ويتهالك عليها وأنشئت من أجلها مجلات عديدة وأصبحت الرياضة من الموضوعات الأدبية العصرية الجديدة

ولدى الانجليز من الالعاب الرياضية أنواع شتى تتلاءم مع جميع الاعمار . فكرة القدم والرجبي والبولو والتنس للشبان الاشداء ، والجولف والكريكت والصيد وما إلى ذلك مما هو أقل عنفا ولايقل امتاعا ، عند ماتتقدم بالشباب السنون

ولن أنسى ماحييت مباراة لكرة القدم شهدتها فى انجلترا سنة ١٩٢٩ وكانت بين أقوى فرقتين (الترسانة وهدلسفيلد) كان اليوم بارداً شديد البرودة والمطر منهمراً باستمرار من الصباح الباكر حتى أصبحت أرض الملعب كالمستنقع تغوص فى حشائشه الاقدام . وكان عدد المتفرجين لايقل عن خمسين الفا وكلهم جالس فى العراء والمطر متساقط عليهم . وأما أنا فكنت فى مكان ممتاز مع صاحب الدعوة « وكان عضواً فى البرلمان » جلسنا فى بناء مدرج مغطى اتسع لمقاعد بضع مئات من كبار المتفرجين المدعوين وفى الموعد المحـدد تماما دخلت « جوقة الموسيقا » أرض الملعب وصدحت بالسلام الملكى المعتاد تحت المطر وكان أشد مايكون انهماراً . ثم خرجت مبللة ونزل الفريقان إلى الميدان ولم تمض بضع دقائق حتى أصبحت الكرة واللاعبون جميعا من غير استثناء كتلا مبللة من كثرة السقوط على الارض ومن كثرة المطر الذى ازداد شدة . فملت إلى صـاحبى وهمست فى أذنه سائلا « هل تظن أنهم يستطيعون الاستمرار على هذا اللعب حتى النهاية وفى هذه الظروف القاسية » فاجاب فورا ومن غيرأقل تردد « بالتأكيد . لاشىء يمنع استمرار هذه المباراة إلا موت اللاعبين » فضحكنا معا . ضحكت من فرط الدهشة ولعله ضحك من غرابة السؤال . واستمر اللعب ساعة ونصف الساعة والمطر نازل كأفواه القرب . وخرجنا وأنا معجب بهذه العزائم الحديدية التى تمثلت فى اللاعبين والمتفرجين على السواء

السياسة

ينظر السياسى الانجليزى إلى السياسة كما ينظر إلى الالعاب الرياضية فهو يمارسها مع شىء من ضبط النفس . فلا مهاترات ولاحزازات ولا أحقاد . وترى العضوين من مجلسين مختلفين يتنازعان فى المجلس أشد نزاع . ويتناقشان ويختلفان فى نظرهما إلى الموضوع الواحد أشد خلاف ثم يخرجان

من الجلسة إلى حفلة ساهرة يتحدثان فيها أشهى حديث . أو إلى أحد الملاعب فيلعبان الجولف أو التنس فى خفة ومرح . فالسياسة فى نظرهم مسائل عامة لادخل فيها للعلاقات الشخصية والاعتبارات الفردية

والسياسة خطط ومبادىء وعقائد ، وأعمال وخير السياسات عند الانجليز ما أنتجت أحسن النتائج بالنسبة للمصالح الانجليزية ... ومما يسترعى النظر فى انجلترا أن السياسة تكاد تكون محصورة فى دائرة صغيرة من رجال الصحف والحكومة والبرلمان . وأما كثرة الشعب فانها تجهل الشئون الخارجية ولا تعبأ بها . ولكنها مع ذلك تطيع زعماءها ورجال السياسة طاعة تكاد تكون عمياء . ولعل هذا سر من أسرار النظام والتقدم الاجتماعى . وانصراف كل طائفة الى ماتتقنه وتحسنه

المساواة

بينما الفرنسى مثلا يؤمن بنظرية الحرية والمساواة ، ترى الانجليزى يؤمن بنظرية الحرية وعدم المساواة . فهو يقدس الحرية فى جميع مظاهرها . ولكنه يرى إلى جانب ذلك أن الشعب طبقات :—

الأسرة المالكة . الطبقة الارستقراطية . الطبقة الغنية فى عالمى الصناعة والتجارة والمال . والطبقة المتعلمة البورجوازية . وطبقات العمال الصغيرة . كل طبقة من هذه الطبقات تنظر الى التى فوقها بعين الاعجاب والاحترام . وتحاول تقليدها فى كثير من أفعالها وخصالها : فى قناعة مدهشة ومن غير تمرد ملحوظ

النفاق

عند الانجليزى الصراحة سيدة الصفات جميعها . فهو يصطنعها فى معاملاته الشخصية ، ويباهى بها ويفاخر ، ويعدها مظهراً من مظاهر الشجاعة واحترام النفس ولكنه مع ذلك يصطنع النفاق إلى حد غير قليل، وهولايعتبره نفاقا وانما يراه من مستلزمات الأدب والمجاملة . ومظهراً لامندوحة عنه من مظاهر الرقى والمدنية

فاذا لعبت التنس مثلا معه وأخطأت الرماية سمعته يتأسف لعدم توفيقك . وأحرى به أن يستشعر الغبطة بما كسب

حب الانجليز للحيوانات

لا أظننى مبالغا اذا قلت أنى لا أعرف بين شعوب الأرض شعبا يحب الحيوانات ويرعاها بالرحمة والعناية كما يفعل الانجليز . فالكلب فى المنزل له مكان ممتاز . وكثيرا ماسمعت من بعض الانجليز والانجليزيات أنهم لايفرطون فى كلابهم وقططهم بأى ثمن كان . وكثيرا مارأيت بعضهم

يتألم أشد الألم مما يرونه من القسوة الواقعة على الحمير والخيول والجمال والخراف فى مصر . وكثيراً مارأيت سيدات يستوقفن بعض السائقين اذا رأينهم يضربون دوابهم أو يرهقونها بالأحمال الثقيلة

وفى انجلترا مستشفيات للحيوانات على اختلاف أنواعها كما أن فيها حركة شديدة عنيفة ضد الاطباء الذين يجرون تجاربهم الجراحية فى بعض الحيوانات ، وكثيرون من الانجليز يعدون عمليات التشريح والتجارب فى أجسام الحيوانات الحية فظاعة ووحشية لاتطاق . ولعل أظرف ما قرأته لأحد الكتاب الأجانب فى سبيل تعليل هذا الحب المفرط للحيوان قوله « ان أوجه الشبه كثيرة بين الانجليز والحيوانات فكلاهما يحب السكون والعزلة ، وكلاهما لايحب الكلام »

علاقة الوالدين بأولادهم الكبار

فى انجلترا هذه العلاقة هزيلة ضئيلة . فان الأولاد متى شبوا وكبروا تركوا آباءهم وأمهاتهم واستقلوا بحياتهم . وسافروا إلى أقاصى الأرض متى أتيحت لهم الفرصة . ولا يمكن أن يفكر انجليزى فى تزويج ابنه أو ابنته والاقامة معها أو معه فى شقة واحدة أو منزل واحد . بل يرى الانجليز أن هذا مما لايتفق مع الحرية والاستقلال وسعادة الزوجية

تدين الانجليز

الانجليز مسيحيون . يدين أغلبهم بالمذهب البروتستانتى . وليس للتعصب الدينى أقل أثر فى انجلترا . ولقد وصفهم أحد الكتاب الهولنديين قائلا « الانجليز كفار يزورون الكنائس . وعباداتهم لاتتجاوز حركة الشفاه » ولكنى أخشى أن فى هذا الوصف اسرافا غير قليل . على أنه مما لاشك فيه أن لدين فى نظر الانجليز لايعدو أن يكون علاقة بين الانسان وخالقة . واذن من السخف ان يقع بين الناس خلاف أو تطاحن بشأنه . ومما يدل على أن الوطنية عند الانجليز أسمى من الدين فى نظرهم أن الاقلية الانجليزية الكاثوليكية لم تتردد قط فى الانضمام إلى الحكومة الانجليزية البروتستانتية عند مانشب خلاف بينهما وبين البابا فى روما وهو زعيم المذهب الكاثوليكى فى العالم

الفكاهة الانجليزية

الفكاهة عند الانجليز لها طابع خاص . وهى تمتاز فى الغالب بالايجاز والجفاف مع شىء كثير من السخرية وقد أطلقوا عليها وصف Dry humour وهو مالا نستطيع أن نطلقه على « الفكاهة الفرنسية » التى تمتاز بالخفة المفرطة احيانا

والانجليز يفاخرون باقى الشعوب بأنهم أقدر الناس على النظر إلى الأمور من نواحيها المضحكة ويحتقرون من كان محروما من هذه القدرة أو هذه الموهبة . ويرون أن هذا الحرمان دليل الغباء وكثافة الروح وثقل الظل

وانى أسوق الآن بعض الأمثلة لهذه الفكاهة المنتشرة بين الطبقات والطوائف والتى كثيرا مايسمعها الانسان على ألسنة رجال الحكومة والبرلمان أو المحاماة وعامة الشعب

سأل رجل صاحباً له

— هل أكون رساماً أو شاعراً

— أنصحك أن تكون رساما

— هل رأيت بعض صورى ورسومى

— كلا ولكننى رأيت بعض شعرك

* * *

محاميان تراشقا بالتهم والسباب والشتائم فى المحكمة أمام القاضى فلما انتهيا قال القاضى : الآن وقد فرغ كل منكما من وصف صاحبه كما يحب ، أطلب الدخول فى موضوع القضية

* * *

سأل مدرس : ماهو الهيكل العظمى

تلميذ : هو شخص داخله خرج وخارجه زال

* * *

قال أحد المحاضرين : الزواج يمنع الانتحار

فصرخ أحد السامعين قائلا : والانتحار يمنع من الزواج

* * *

كان المستر تشرشل وزيراً للمالية فسأله أحد النواب بمناسبة ماتدفعه الحكومة الانجليزية إلى أحد أمراء الهند على ما أذكر . وكان المبلغ لايقل عن خمسين الف جنيه سنويا

النائب — ما الذى يعمله هذا الأمير للحكومة الانجليزية حتى يستحق هذا المبلغ الكبير

مستر تشرشل — اننا ندفع اليه هذا المبلغ لا للعمل الذى يعمله وانما من أجل العمل الذى لايعمله

كان لورد بركنهد محامياً فذاً قبل أن يشتغل بالسياسة ويصل إلى مركز الوزارة

أخذ مرة فى مناقشة شاهد متحامل على موكله حتى ضاق به ذرعا وأراد احراجه

فقال بركنهد — هل أنت سكير مدمن على الخمر

الشاهد غاضبا — هذا شأنى أنا ولا دخل لك فى ذلك

بركنهد — هل لك فى الحياة شأن آخر غير هذا « فضحك الحاضرون »

نشوء الاسرة وتطورها

تتعدد النظريات عن نشوء الأسرة . غير أن أسباب هذا النشوء تنحصر فى الغريزة والعادة والميل والائتناس

والزواج ليس إلا ارتباط بين الذكر والانثى قد يطول أو يقصر ويستمر مدة الحمل وبعد ولادة الطفل — والزواج والعائلة مرتبطان ارتباطا قويا . فمن أجل منفعة الطفل يجب أن يستمر الذكر والانثى فى حياتهما معاً . والزواج متأصل فى الاسرة وفى الزواج

فردية الزواج وتعدده

أول دور للزواج هو دور الاباحة المطلقة والمسافحة الخالية من كل قيد ونظام وفى وسط هذه الفوضى التى تكاد تكون مطلقة لايخلو الامر من أن يستأثر بعض الرجال ببعض النساء ويمنعونهن عن غيرهم ولو بالقوة أو يقصر رجل نفسه على امرأة مخصوصة أو على بعض نساء وبعبارة أخرى كانت جميع أنواع الزواج من تعدد الازواج والزوجات والاقتصار على زوجة واحدة موجودة

وحيث ينعدم التساوى فى النسبة بين الجنسين ويقل الغذاء وتقسو الطبيعة تتزوج المرأة بعدة رجال ليتعاونوا جميعا على العناية بالطفل والاهتمام به وذلك لأن رجلا واحداً غير قادر على القيام بشئون الطفل بل لابد لذلك من تآزر رجال عديدين وإلا هلك الطفل

ولا ريب أن ترقى الملكية وعادة الفتح حصرت الاشتراكية النسائية وضيقت دائرتها شيئاً فشيئا

ولا يوجد نظام تعدد الزوجات إلا حيث يزيد عدد النساء على عدد الرجال زيادة عظيمة بسبب الحروب أو لان المواليد من الاناث أكثر من المواليد الذكور لاسباب طبيعية غير اعتيادية . ويرجع تعدد الزوجات فى أصل وجوده إلى أسباب عديدة أولها ان الرجل البسيط لا يستطيع الامساك عن الاتصال بزوجته لذلك يمارس تعدد الزوجات لان وحدانية الزوجة تتطلب منه أن يبتعد عنها زمنا معينا كل شهر وكذلك فى أثناء الحمل والرضاعة . ومما يساعد على ذلك تعدى القبائل الحربية على جيرانها لسلب الاموال وسبى النساء وتفوق بعض الافراد جسمانيا وعقليا وتفردهم بالحظوة والجاه وأخذهم كل امرأة تعجبهم من القبيلة اقتسارا

وكذلك من أسباب تعدد الزوجات استخدام المرأة فى الاعمال الشاقة وذلك ان الرجل فى بعض البلاد لا يزاول عملا غير الصيد والقتال والمرأة هى التى تقوم بكل الاعمال الاخرى فيقتنى الرجل من الزوجات بقدر طاقته ليستخدمهن فى أعماله ويستثمرهن فى انماء ثروته وكلما كثرت نساؤه ازداد غنى وخف بالتالى الحمل الملقى على عاتق كل منهن

ولا شك فى أن ترق الهيئة الاجتماعية أدى إلى الا كتفاء بزوجة واحدة ولان عدد الرجال كان مساويا لعدد النساء فى الغالب . هل يبقى نظام وحدانية الزوجة هو النظام الوحيد المعترف به عند الشعوب المتمدينة؟ لقد أجاب الاختصاصيون على هذا بطرق شتى فنهم من أجاب بالنفى كالدكتور « لى بون » إذ يرى أن القانون الغربى سيحل نظام تعدد الزوجات والاستاذ الرنفلز يقول ان ممارسته ضرورية حفظا للجنس الآرى . ويعتقد وستر مارك ان الانسانية إذا سارت فى طريقها الحالى كأن تعمل قوانين وحدانية الزوجة عملها . وكأن يزيد شعور الرجال بوجوب مراعاة الجنس الآخر وكان يزيد حق المرأة فى التشريع ، إذا ظل هذا كله فلن يتغير النظام الحاضر والمشاهد ان الميل يزداد للتزوج بدافع المحبة لا بواسطة التقاليد والقوانين التى تعتبر الزواج كعقد شراء

الزواج الداخلى والزواج الخارجى

فى الجماعات الفطرية تضيق الدائرة التى يجوز للرجل أن يختار منها امرأته . ومن أقدم أنواع التضييق تحريم الزواج من نساء القبيلة واباحته من نساء القبائل الاخرى وذلك لا يكون الا بالسبى والخطف . ومنشأ تحريم الزواج من بين نساء القبيلة يرجع الى ما غرسته الطبيعة فى الانسان من حب بقاء النوع والمحافظة على النسل من الضعف والتلاشى وذلك أن تعاقب الزواج من الاقارب يورث العقم ويمنع التناسل ومن القواعد « الا كسوجامية » التى تمنع أعضاء جماعة معينة من الزواج بأشخاص معينين ممن ينتسبون اليها ، الزواج من بعض الاقارب وكلما زادت القرابة زاد المنع وقد محت المدنية تقريبا الزواج الخارجى حتى أصبح كل جنس تقريبا يعتبر الاصهار الى جنس آخر من العار ان لم يكن من الاجرام

لقد أصبح الزواج الداخلى (Endagamy) غالبا بتأثير الأديان واللغات وغيرها من الفروق المتباينة . غير ان المدنية الحديثة عملت ولا تزال تعمل على محو الاختلافات الموجودة بين الدول والاجناس وعلى ازالة الحواجز القائمة بين الطبقات والاديان . ومن هنا أصبحت القواعد الاندوجامية أقل ظهورا وأضعف حدة باتساع الحدود التى يستطيع الرجل والمرأة أن يتزوجا فيها .

ومن هنا كان التزاوج بين الناس دون نظر الى الجنس أو الدولة أو الدين يساعد على زيادة السلم فى العالم ولو انه يعدم فى الوقت نفسه هذا السلم فى الاسرة

السلطة الابوية والاموميه

الجماعات التى تعيش على السفاح أو التى تمارس نظام تعدد الزوجات لايعرف الطفل فيها الا أمه. وقد سمى منذ وجدت الاسماء باسمها وورثها وحده من يوم نقلت الملكية من شخص الى آخر . ولما توثق نظام الامومة صار الاخوال أقرب الاقارب الى الطفل لانه لايعرف أباه فكانوا يعاملونه معاملة الوالد . لذلك كانت قرابة الام قصيرة المدي لا تمتد إلا الى جيل أو جيلين ثم تنقطع .ويكون الاولاد حينذاك مهملين لعدم الاكتراث بهم والعناية بتربيتهم وترك كل ذلك على عاتق المرأة

والزواج بأكثر من امرأة يستلحق النسب فيه بالآباء وفقا لحقوق التملك وتأييداً لسلطة الرجل على المرأة فيكون الاب فى هذه الحالة صاحب الملك الذى لا ينازع فيه ليس على الام فقط بل على الاولاد أيضا . واصبح خضوع الابناء تاماغير ان تربية الطفل كانت مشتركة ايضا لعناية المرأة

وقد أدى نظام اتخاذ الزوجة الواحدة الى تفوق الامومة وسيادة رب الأسرة . وأصبحت الرغبة قوية فى قلة النسل فبعد أن كانت الاسرة الكبيرة تساعد الرجل على الفوز فى تنازع البقاء أصبحت عيالا عليه . ولم يصبح أقارب الانسان هم اصدقاؤه وحدهم وارتقت الزوجة ولم تعد عاملة فقط لأن الادوات والحيوانات بل الآلات أيضا أصبحت تقوم بكل ما كانت تقوم به ثم ارتقت عاطفة الحب وتهذبت وأصبحت أكثر ميلا إلى الايثار منها الى الاثرة . وأضحى العقل المثقف يرى فى الشباب والجمال شيئا أرقى من الرغبة الجنسية كما أن شخصية الفرد أخذت تنمو الى أقصى حد بينما أخذت تندمج الاسرة تدريجيا فى نظام الدولة

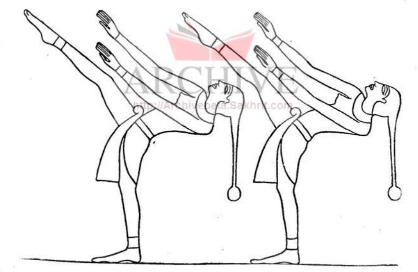
نظرة عامة

اذا تأملنا فيما سبق ندرك أن الضرورات المحلية هى التى اقتضت عند الشعوب المختلفة كل ماهو مخالف لآرائنا الحالية من مثل زواج الاخ باخته وزواج المتعة والزنا المباح . ومهما اختلفت الاشكال التى كيفت بها القوانين المدنية أو الدينية أو العادات روابط الذكور بالاناث فالظاهرة العامة التى يراها الباحث فى كل مكان اعتبار المرأة كشىء امتلك بالحيازة . فعقد قران الجنسين مهما اختلفت أوضاعه وشمل تعدد الازواج أو الزوجات أو الزوجة الواحدة ما كان إلا عقد عبودية للمرأة واذا أغفلنا الازمنة التى سبقت التاريخ ولم نعد إلا الى الخمسين أو الستين من القرون التى قضتها المرأة رازحة تحت هذه العبودية فلسنا نجد بدأ من القول بان طول هذا العهد قد اعتاق ترقى عواطف المرأة وذكاءها فقد احتفرت مضاعفات الوراثة من القدم هوة عقلية بين الرجل المتحضر وبين المرأة تحتاج فى ردمها الى كثير من الزمن

أحمد زكى بدوى

الرقص المصرى القديم

وضعت الآنسة أرينا ليكسوفا كتابا عن الرقص المصرى تبلغ صفحاته ١٩١ من القطع المتوسط وهذه الآنسة المؤلفة هى راقصة تشكوسلوفاكية . وأبوها الدكتور ليكسا هو أستاذ للمصرلوجية فى جامعة براج عاصمة تشكوسلوفاكيا . وقد درست عليه تاريخ الفراعنة والتفتت التفاتا خاصا إلى الرقص إذ هو حرفتها . وكثيراً ما كانت ترى راقصات يؤدين ما يسمينه « الرقص المصرى » وهو فى الحقيقة من مبتكراتهن التى لاتتصل إلى أى اتصال بالفن المصري القديم أو هى تتصل فقط عن طريق الاستلهام لهذا الفن . فان الراقصة كانت تنظر إلى الصور المصرية ثم تتخيل رقصة تؤديها وتحسب أنها تقارب أو تطابق ماكان يؤديه المصريون من الحركات



ولكن الآنسة أرينا ليكسوفا عنيت بجمع الصور المختلفة للرقص من النقوش المصرية وقد بلغت فى كتابها ٧٦ صورة تحتوى أكثر من ١٢٠ وضع لأن بعض الصور يحتوي بضعة أوضاع رقصية

وهذا الكتاب ألفته الآنسة الراقصة وقدمته للمعهد الشرقى فى براج . وقد نقل إلى الانجليزية



وتكرمت باهداء النسخة الانجليزية الينا

وقد مهدت لمجموعة الصور الشائقة بشرح واف يستغرق ٨٠ صفحة قالت فيه ان الرقص المصرى القديم كان بعيداً عن ما يفهم الآن مما يسمى الرقص الشرقى اذ لم تكن الحركات قائمة على التكسر والتراخى بل كانت أشبه بحركات الرقص الأوربى الحديث من حيث نشاط الحركة وعنفها واقترابها من الحركة البهلوانية . والحق أن ان الصور العديدة تؤيد ذلك . ففى واحدة منهن ترفع الراقصة قدمها الى أعلى وقد انحنى ظهرها الى الوراء ولما تبلغ يداها الأرض وهى فى هذا الوضع المعجز وقفت راقصة أخرى على بطنها . ومثل هذا لا يتفق إلا لبهلوان قد درب عضلاته تدريبا طويلا . وفى صورة أخرى نرى الشاب يرقص مع الفتاة رقصا مسرحيا فيحملها ويديرها من أعلى الى أسفل على نحو ما نفهم من الرقص الروسى . وفى صورة أخري قد وقف شابان وأمسك كل منهما بفتاتين الشابان واقفان والفتاتان تلتفيان بقدميهما ثم تستلقيان الى الخلف ولا يمنعهما من بلوغ الأرض سوى أيدي الشابين

وكان الرقص المصري يحتاج الى تدريب طويل وليس فى الصور وهى تبلغ ١٢٠ امرأة سمينة أو رجل سمين . لأن الرقص كان مرانة رياضية شاقة تقارب الحركات

البهلوانية . وكان يجري جماعة أو انفرادا أو ازدواجا . وكان يؤدي للتعبد أمام الآلهة وفى الأعياد.
وقد أخذ اليهود الرقص الدينى عن المصريين

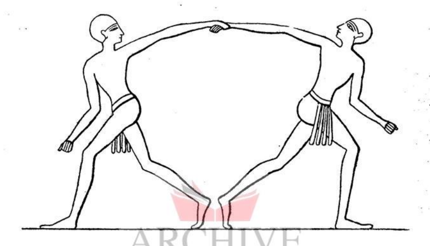
وكلنا يذكر فى المزامير ان داود كان يرقص للرب . وكان الراقصون والراقصات يحملون الآلات الموسيقية أو يرقصون بدونها . وكانت الفتاة الراقصة تتخذ لباسا رقيقا وأحيانا تتخذ لباس الرجل المتحضر لكى تبدى محاسن جسمها . وبعض الراقصات يبدين فى الصور عاريات لا يسترهن شيء ولكن المؤلفة تستبعد ذلك وتعتقد أن الرسام أراد أن ينقل الجسم البادى تحت اللباس الرقيق . وقد أكدنا للقاريء ناحية العنف والقوة فى الرقص المصرى ولكن كثيرا من الاوضاع يدل على الرشاقة المتناهية . ومع ان الاحتفالات الدينية كانت على الدوام يرافقها رقص جماعى أو انفرادى ، حتى فرعون نفسه كان يرقص ، فان الرقص كان أيضا يؤدي فى اجتماعات أخرى غير دينية . وكانت بيوت الأغنياء تقتنى العبيد والأماء للرقص



وقد عنيت المؤلفة الآنسة أرينا ليكسوفا بتأدية بعض الرقصات المصرية كما تراها ممثلة فى الصور ونحن نعتقد أن هذا الكتاب جدير بأن ينير الأوربيين الذين لا تخلو مدينة من مدنهم من مدارس الرقص عن هذا الفن المصرى العظيم . وهو فن يرفع كرامة مصر ويزيدنا شرفا

فانه ليس فى هذه الصور العديدة كفل سمين أو بطن مستكرش أو وضع يدل على تخنث وتكسر.

فان الراقصات المصريات كن قبل الراقصين يتحركن ويلعبن فيما يشبه الرجولة بل الرجولة العنيفة . ولم تكن مصر عظيمة الا لأن هذه الاخلاق كانت فى نسائها قبل رجالها



وتحسن وزارة المعارف لو أنها عمدت الى هذا الكتاب ونقلته الى العربية ووزعته على مدارسها فان فيه رجولة وقوة لمن ظنوا أن الرقص خنوثة وضعف

وفى الصور المرافقة التى نقلت عن القبور المصرية ما يدل القارىء على صحة ما نقول



نظرية فرويد فى تفسير الاحلام

للاستاذ محمد فتحى

ربما كان عنوان الموضوع داعيا الى التساؤل . مابال رجل القانون والمحقق المفروض فيه أنه رجل حقائق ووقائع ، مهمته كشف الحوادث المعتادة واثباتها بالدليل المحسوس والبرهان الملموس ، يخوض غمار بحث هو الى الأوهام والخيالات أقرب منه إلى الحقائق والمشاهدات ، فانه معروف عن تفسير الأحلام منذ القدم أنه ضرب من ضروب التكهن بالغيب والانباء بالمستقبل ، وقد وصفه العلماء بانه نوع من أنواع الشعوذة والتدجيل ؟ ولكن حاشا أن يكون هذا مقصدنا من تفسير الاحلام ، فاننا لانزال رجال حقائق ومشاهدات لارجال أوهام وخزعبلات ، فما قصدنا أن نتكلم عن نبوءة الاحلام أو علاقتها بكشف الغيب والمستقبل ، بل قصدنا الوقوف على ماوصلت اليه أبحاث العلماء فى العهد الأخير عن علاقة الأحلام بحاضر الانسان وماضيه ومستقبله أيضا ولكن بمستقبله القريب لاعن طريق التكهن بالغيب بل عن طريق ارتباط المقدمات بالنتائج ، فقد أثبت العلم أخيرا أن للاحلام معانى ومرامى لاتقل فى غرابتها عن الانباء بالغيب ، فهى ان دلت على أمور حاصلة بالفعل أو حصلت فى الماضى ، مازالت مجهولة لنا فى أكثر الأحيان تمام الجهل . وان صح أن يسمى المجهول من أمورنا مما يستعصى علينا كشفه غيبا جاز لنا القول أن الأحلام تكشف لنا الغيب من هذه الناحية

فالى عهد غير بعيد كانت زمرة العلماء ترمى الأحلام بالسخف والازدراء لاعتقادهم انها ان هى الا مجموعة من مختلف الصور الفكرية المتناقضة والتى لارابطة بينها ، تجتمع فى المخيلة عند النوم على غير هدى كما تجمع قصاصات الورق فى سلة النقايات ، ولذلك فهى لاتستحق فى نظرهم اهتماما أو درسا أو بحثاً ، ولم تتجه أنظار العلماء إلى بحث الأحلام من الوجهة العلمية وتحليلها نفسياً إلا من عهد قريب حيث أظهر الاختبار ودلت التجربة على أن للاحلام معانى باطنة ومرامى خفية تدل على ما يكنه الانسان فى أعماق نفسه ويحفظه فى سويداء قلبه ومستودع عقله الباطن من الحوادث والمؤثرات النفسية التى قد يتعذر عليه الوقوف عليها أو كشفها فى اليقظة فتظهر فى الرؤيا ولكنها لاتظهر غالبا بحقيقتها بل فى شكل رموز أو طلاسم فمن استطاع حلها أمكنه فهم معانيها وادراك مراميها

فالاحلام « ترجمان النفس » أو بعبارة أخرى هى « لغة العقل الباطن » ولكنها ليست لغة كلامية أو لفظية بل لغة رمزية ، قواعد التعبير فيها قائمة على الصور الرمزية المنبعثة من ملكة الخيال ، وهى فى تعبيرها الرمزي قريبة الشبه بالهيروغليفة أعنى كلماتها وعباراتها مؤلفة من مجموعة من الصور والرموز ، ولهذه اللغة نحو وقواعد فمن درس نحوها وقواعدها استطاع قراءتها ، وان جهود العلماء ترمى الآن الى حل رموز هذه اللغة الاثرية فى تاريخ العقل البشرى ودرس قوانينها وقواعدها ، وتدل المقدمات على أنهم باذن الله واصلون

وأول من لفت نظر العالم نحو تفسير الأحلام تفسيراً علميا هو ذلك الطبيب النمسوى الذائع الصيب العلامة « سجمند فرويد » ولعل الفضل فى هذا الاكتشاف الخطير يرجع الى التجارب التى كان يجربها فى أثناء معالجته مرضاه بطريقة التحليل النفسى ، فانه ادرك بالاختبار المتكرر أن بين الأحلام والحالات النفسية التى يشكو منها هؤلاء المرضى ارتباطا وثيقا ، فوجه ذلك الارتباط نظره الى دراسة الأحلام وحل رموزها ، وبعد أن درس الموضوع درسا علميا منظما مؤسسا على التجربة والاختبار لا على مجرد الحدس والتخمين ابرز فى سنة ١٩٠٠ كتابه المشهور المعروف باسم « تفسير الأحلام » وقد ترجم الى الانكليزية والى الفرنسية

وهو أول كتاب فريد فى بابه ، ويعتبر بحق انه الحجر الأساسى لهذا البحث الخطير ، وقد ضمنه نظريته المشهورة التى أثارت أعظم ضجة فى عالم الأبحاث النفسية وهى « ان الاحلام ترمى الى تحقيق رغبة أو تعبر عن أمنية دفينة فى النفس وان هذه الرغبة فى أغلب الاحيان جنسية أى مرتبطة بالغريزة التناسلية »

فقام العلماء فى وجه فرويد ورماه البعض بالتدجيل والشعوذة ، وليس هذا بغريب فى تاريخ العلم ، بل هو شأن كثير من النظريات العلمية الخطيرة عند ابرازها لاول مرة فى العالم ، وما زالت الضجة التى قامت حول نظرية تشارلس داروين فى نشر الانواع ماثلة أمام الأعين

فالعلامة سجمند فرويد يعتقد أن للاحلام فائدة عظمى للعقل البشري لانها ترمى الي تحقيق كثير من الرغبات التى تشتهيها النفس وتتعطش اليها ، ولكن لم يستطع المرء أن يروى غلتها ويطفىء حرارتها فى الحياة العملية وبالأخص ما كان منها يرجع الى عهد الطفولة أو مبدأ حياة الانسان على وجه العموم ومعظمها من الرغبات والمشتهيات الجنسية التى اضطر الانسان تحت ضغط التقاليد الاجتماعية والتعاليم الدينية والآداب القومية أن يكبتها فى قرارة نفسه ويكظمها فى أعماق قلبه فارتدت من ساحة « الشعور » الى جوف « اللاشعور » حيث ربضت فى مكمنها لتكون مصدرا للقلق وينبوعا مستترا يهدد المرء فى مستقبل العمر بالثورات النفسية والاضطرابات العصبية ، وهى

تغلى كالبركان أو المرجل تحت ضغط الارادة أو القوة الكابتة للذكريات المؤلمة والتى أطلق عليها فرويد اسم الكبت وأسماها أحيانا بالرقيب

ولكن لما كانت شدة الضغط قد تولد الانفجار « والانفجار هنا معناه ظهور نوبات عصبية أو اضطرابات نفسية » فلا بد إذن للشهوات المضغوطة من منفذ تفلت منه بعض قواها المحتبسة ليخف الضغط عن القوة الكابتة وبذلك يتفادى الانفجار فالأحلام من هذه الناحية اشبه شيء بصمام الامان لمرجل الانفعالات المضغوطة فى جوف العقل الباطن أو اللاشعور

ونظرية فرويد فى أن معظم الأحلام ترمى إلى تحقيق رغبة جنسية قائمة على اعتبار أن الغريزة التناسلية – مع أنها من أقوى الغرائز البشرية ان لم تكن اقواها جميعاً – هى الغريزة التى تلاقى من المجتمع أكبر ضغط ومن التقاليد أكبر قوة كابحة، لهذا كانت أحلامنا تعبر عن تلك الرغبات كما أن الكثير من هذه المشتهيات يرجع إلى عهد الطفولة، وهى فى الغالب تكون موجهة نحو المحارم من الاهل والأقارب كالوالدين والاخوة، وقد يدوم أثرها فى النفس طول العمر ويلازم الانسان مدى الحياة وهو لايدرى، وكل ما يشعر به اضطراب وقلق لا يعرف شيئا عن مصدره فتتحقق هذه المشتهيات فى الرؤيا وتعاودنا فى شكل أحلام فى جميع أدوار الحياة ولا تفتر تتردد علينا من حين إلى حين حتى سن الكهولة، ولكن لما كانت هذه المشتهيات ضد الآداب والتقاليد وتعاليم الدين فانها عادة لاتظهر بمظهرها الحقيقى لأن ذلك مؤلم لوجدان النائم يوقع الغريزة الجنسية فى نضال حاد مع ضمير الانسان الذي هو وريث التقاليد الاجتماعية نضال تضطرب له أعصابه وترتج له أركان عقله ووجدانه فيتنبه من رقاده مذعورا، فلأجل التوفيق بين هاتين النزعتين المتعارضتين تصير المشتهيات مقنعة فتتخذ لنفسها صوراً نقشتها ريشة الخيال، وتماثيل نحتت من لغة الرموز الاثرية. فاذا بها كمن يلبس ثوبا ممزقا أو يستتر تحت رداء مستعار لكى يغافل الرقيب ويفلت منه ولهذا كانت مهمة الباحث النفسى نحو حل هذه الرموز شاقة معقدة، اذ قد لايتسنى حل طلاسمها إلا بتحليل نفسى دقيق يتطلب منه إلماما بماضى المرء وظروفه الخاصة والعامة وبيئته التى عاش فيها والسلالة التى نشأ منها

فنظرية فرويد فى تفسير الاحلام يمكن تلخيصها فيما يلى

إن الرؤيا لها معان ظاهرة سماها فرويد بالمحتويات الصريحة للرؤيا، ومعان خفيه سماها بالمحتويات الكامنة وهى المستترة تحت رداء الرموز، وان المعنى الكامن يعبر عن تحقيق رغبة لم يحققها الانسان فى حياته اليومية وان هذه الرغبة فى معظم الحالات تكون رغبة جنسية أو تدور حول الميل الجنسى حتى ولو كانت وقائع الرؤيا فى ظاهرها بريئة من الميل الجنسى ولا تنم عن الرغبة الخفيه المستترة خلف رموزها

وقد ذكر فرويد على سبيل المثال أن سيدة كان يعالجها رأت فى منامها أن ابن أختها الوحيد توفى فقامت من نومها مذعورة جزعة ولما ذهبت الى فرويد طلبت منه فى لهجة المتهكم المستهتر أن ينبئها عن أي مغزي جنسي ينطوى عليه مثل هذه الرؤيا وأية رغبة دفينة أو مشتهى نفسى ترمى اليه . فوضعها فرويد تحت اجراءات التحليل ولما حلل ذكرياتها الكامنة وخواطرها الدفينة فى أعماق اللاشعور ظهر أن شقيقة الفتاة كان لها ولد آخر توفى فى عام سابق ، وقد حضر المأتم شاب وسيم الطلعة على جانب من الظرف والأدب لتقديم فروض العزاء لافراد العائلة فأنست الفتاة منه عطفا نحوها ترك فى نفسها أبلغ أثر ، وقد تمنت وهى عذراء لو مدّ اليها يد الخطبة ولكنها كظمت ماوجدته فى نفسها من لوعة ثم ألهتها تصاريف الأيام عن ذكراه الدفينة فى قرارة النفس الى حين أن تناولت فى ليلة الرؤيا جريدة قرأت فيها خبر عزمه على القاء محاضرة فى ناد معين ، فأصرت فى نفسها على الذهاب الى سماع المحاضرة فى الموعد المضروب ، وفى تلك الليلة رأت فى منامها تلك الرؤيا المشؤومة الخاصة بموت ابن شقيقتها الثانى . فبين لها فرويد طبيبها ما انطوت عليه هذه الرؤيا وأنها ، على الرغم مما اتصفت به من سمو الاخلاق ورقة الشعور ، اشتهت فى العقل الباطن موت ابن أختها الثانى لكى تتاح لها فرصة اجتماعها بذلك الشاب عند حضوره معزيا اسوة بالمرة الاولى

انتشرت النظرية الفرويدية فى الدوائر العلمية ، فالبعض قبلها برمتها وانضم فى الرأي الى فرويد وأيده بابحاث وتجارب جديدة ، والبعض خالف فرويد فيها من بعض الوجوه . والبعض الآخر وقف تجاهها موقفا عدائيا ورماها بالنقد المر وشهر على فرويد وأعوانه حربا عوانا من جرائها . ولكن هذا الفريق الأخير بدأ يتضاءل ويتلاشى فى بضع السنين الاخيرة

وبهذه المناسبة تجدر الاشارة إلى وجهة نظر طبيب سويسرى جليل القدر لا يقل فضلا عن العلامة فرويد ، وهو الاستاذ يونج فى زيوريخ . فانه وان كان قد نسج على منوال فرويد فى تفسير الاحلام من حيث اعتبارها لغة العقل الباطن وأنها رمزية ، خالف فرويد فى ثلاثة أمور وهى :—

١ ـ فى قصر الاحلام على الميل الجنسى

٢ ـ فى علة ظهورها بشكل رمزى

٣ ـ فى مرمى الاحلام وعلاقتها بالماضى والحاضر والمستقبل

عن الوجه الاول : بينما فرويد يقول إن الاحلام ـ معظمها ان لم تكن كلها ـ تعبر عن تحقيق رغبة جنسية يقول يونج ان الاحلام تعبر عن كثير من الرغبات غير الجنسية وان القاعدة التى بنى عليها فرويد نظريته وهى تفوق الغريزة الجنسية على باقى الغرائز البشرية والأخرى وانفرادها بلاقاة

أعظم قوة كابتة مخالف للواقع لأنه بذلك تجاهل غريزة هى فى نظر يونج أعظم شأنا من غريزة الميل الجنسى الا وهى غريزة « حب التسلط » فهى الغريزة التى لها المقام الأعلى بين مجموعة الغرائز البشرية وفيها الغريزة الجنسية : وهى تشمل حب الزعامة والقيادة وحكم الشعوب والقيام بالأعمال المجيدة وحب المجد والعظمة والشهرة والتى قد تدفع الانسان إلى المخاطرة بحياته واقتحام الصعاب وتضحية النفس وما إلى ذلك من عظائم الامور . وان هذه الغريزة كثيرا ماتلاقى فى الحياة من الصدمات ومعاكسات الدهر مايدعو إلى كبتها وكظمها فتظهر فى أحلامنا عند النوم . فكأن احلام اليقظة إذا لم تتحقق فى عالم الحياة ارتدت إلى عقلنا الباطن لتتحقق فى عالم الخيال

ولكن فرويد يرد على ذلك الاعتراض بان غريزة حب التسلط منشؤها فى الاصل يرجع إلى الغريزة الجنسية وهى تسلط الذكر على الانثى واستخدام القوة فى الوصول إلى اخضاعها لتحقيق الاغراض الجنسية . ثم تطور هذه النزعة إلى الزعامة العائلية وتسلط رب العائلة على افرادها . ثم تحولها إلى زعامة الشعوب وحكمها والتى لم تخرج عن كونها مثلا مكبرا من الزعامة العائلية .

ولكن الاستاذ يونج رد على ذلك بقوله :

ان غريزة حب التسلط هى الاصل والغاية وان غريزة الميل الجنسى أو الغريزة التناسلية هى مجرد وسيلة للوصول إلى هذه الغاية إذ المقصود بها الاكثار من النسل وانتشاره . ومعناه تقوية النوع وتسلطه على باقى الانواع الاخرى . فهى مظهر من مظاهر التنافس النوعى أو حب التسلط الاجتماعى

عن الوجه الثانى : لما كان يونج يرى أن الاحلام غير مقصورة على المشتهيات الجنسية وأن الكثير منها متعلق بتحقيق كثير من الرغبات الاخرى التى لامخالفة فيها للآداب والتقاليد والمعتقدات فان العلة التى ذهب اليها فرويد لتعليل ظهور الأحلام بشكل رمزي لاتتفق مع وجهة نظر يونج واذن لابد له من البحث عن نظرية جديدة تستقيم مع وجهة نظره فوضع تعليلا على جانب من الوجاهة وهو أن اللغة الرمزية هى لغة البشر قبل التاريخ والتى كان التفاهم قائما عليها فى القرون الاولى . فهى تراث الآباء والاجداد القدماء . فهى اذن بضاعة العقل الباطن . أما اللغة الكلامية فمن بضاعة المدنية الحديثة ومن متعلقات العقل الظاهر . ولما كان العقل الظاهر عند النوم فى حالة ركود وسكون وان ظواهر التفكير مصدرها العقل الباطن فمن الطبيعى اذ يكون تعبير المرء فى الرؤيا بلغة هذا العقل القديم وهى الرموز

عن الوجه الثالث : الأمر الثالث الذى خالف فيه يونج فرويد هو عدم قصر الاحلام فى دلالتها على الماضى فهو يقول ان هناك من الأحلام مايعبر عن الوجدانات القائمة فعلا بالنفس فيعبر عنها

فى الرؤيا بصورة رمزية كما ان بعض الأحلام قد يكون ذا دلالة على ماترمى اليه النفس من المقاصد أو ماتتوقع حصوله فى المستقبل مسترشدة فى استنتاجها بما توافر لديها من مقدمات

فبينما فرويد يقصر وجهة نظره على النظرية السببية أعنى يعتبر الاحلام مجرد نتيجة لمقدمات يرى يونج تعميم القاعدة بحيث تشمل أيضا النظرية القصدية التى تعتبر بعض الاحلام مقدمات لنتائج مقصودة

وفوق ذلك قد رأى يونج أن الأحلام لاتدل على مامضى فحسب بل على ماضى السلالة البشرية والنوع بأسره ، فالنفس البشرية للفرد تحمل فى طياتها خبرة الجدود فى العصور الغابرة وما كابده النوع من تجاريب وما مارسه من تقاليد وعادات . وقال يونج انه قد تسنى له أن يحلل أحلام بعض الناس واستدل بذلك على السلالة التى انحدروا منها أو الجنس البشرى الذى ينتمون اليه

وان أبسط مظاهر الأحلام وأقلها تعقيداً هى الأحلام التى ترمى الى تحقيق رغبة صريحة لا غبار عليها كاحلام الجوعان والعطشان فقد يرى الجائع أنه جالس على مائدة طعام فيها من مختلف المآكل أشكال وألوان . وليس فينا من يجهل المثل العامى المعروف « حلم الجوعان عيش » كذلك الظمآن قد يحلم أنه يشرب ماء فيرتوى ظمؤه فى الرؤيا ، ولذلك يخف عنه ألم العطش فلا يضطرب رقاده ـ ولهذا لقب العلامة فرويد الحلم بانه « حارس النوم »

ومعظم أحلام الأطفال من هذا النوع الصريح فان الطفل اذا رأى لعبة فى دكان أو فاكهة على مائدة طعام وتاقت نفسه اليها ولكنه حرم منها فانه قد يحلم فى نومه أنه حصل على اللعبة أو أكل الفاكهة ، كذلك اذا كان رضيعا وجاع فقد يحلم بالرضاع ، وكثيراً مايحلم الاطفال بالرضاع بعد الفطام وكثير من الرغبات التى ادخرها الانسان أو كظمها منذ عهد الطفولة قد تظهر فى أحلامه وهو يافع أو شاب أو كهل ، فان حب الاطفال للنقود مشهور وغالبا مايحرّمها الاهل عليهم حتى لايسيئوا استعمالها فى مشتريات قد تضر بهم فيضطر الطفل الى كظم هذه الرغبة ولكنها لاتنمحى بل تلازمه طول حياته ، ومن أجل ذلك قد نحلم ونحن كبار أننا نجمع نقودا من الارض بكثرة وبخاصة النقود البيضاء لأن الاطفال عادة لايعرفون للذهب أو العملة من الورق قيمة . ان الاطفال ، وان كانت أحلامهم فى أول عهد الطفولة غالباً ماتكون بسيطة صريحة ، كلما تقدموا فى السن ازدادت أحلامهم ابهاما وغموضا وأصبحت تعبيراتهم الباطنية أقرب الى الرموز منها الى الصراحة وهو مايستدعى لتفسيرها اجراءات تحليل اكثر تعمقا وتعقداً . وعلى سبيل المثال أذكر الرؤيا الآتية لاحدى بناتى فهى رؤيا وسط بين الصراحة والرموز ، وصاحبة الرؤيا تلميذة فى السنة الثانية الابتدائية ، وملخص الرؤيا انها رأت والدتها واقفة فى شرفة المنزل (البلكونة) وحولها لفيف من بنات المدرسة ومن

بينهن شقيقتها (أى ابنتى) الصغرى ثم رأت والدتها تلقى بالبنات واحـدة بعد واحدة من الشرفة الى الشاوع حتى جاء دور شقيقتها الصغرى فحاولت أن تنقذها من يد أمها فلم تفلح وألقتها أمها أيضا أسوة ببباقى التلميذات من الشرفة أما هى (أي ابنتى الكبرى صاحبة الرؤيا) فان أمها لم تمسها بسوء بالرغم من تطوعها لافتداء أختها

وقد أظهر التحليل وتسلسل خواطر ابنتى عن وقائع هذه الرؤيا ان الأم كانت لديها رمزاً للمعلمة أو ناظرة المدرسة وان شرفة المنزل كانت رمزاً للفصل . والمنزل الذى اجتمع فيه التلميذات رمزاً للمدرسة . واذا عرفنا ما كانت عليه ابنتى ذاك الحين من ضعف فى مادتين من مواد الدراسة وهما الحساب واللغة الانجليزية وانها كانت كثيرة السقوط فيهما فى الامتحانات الدورية فى غضون السنة وتخشى السقوط فى الامتحان النهائى بسببهما سهل علينا أن ندرك المعنى الرمزى لاسقاط التلميذات من شرفة المنزل وما ينطوى عليه من رغبة مكظومة ترمى إلى السقوط المعنوي فى الامتحان فهى كانت تشتهى فى الباطن لو أن ناظرة المدرسة أو المعلمة التى رمزت لها فى الرؤيا بالأم أسقطت جميع تلميذات فصلها فى الامتحان حتى لاتعير بالسقوط إذا ما انفردت هى به . أما تمنيها سقوط أختها الصغيرة فقد جمع بين أمنيتين إحداهما حديثة تتعلق بسقوطها فى الامتحان أيضاً (بسبب ما كانت عليه أختها المذكورة من التفوق فى فصلها ولو أنها كانت فى فصل ادنى) والأمنية الثانية تتعلق بما كانت تكنه من قديم من وجدانات الغيرة والحقد منذ كانت أختها حديثة الولادة بسبب ماترتب على مجيئها فى الحياة من مزاحمتها فيما كانت قد اختصت به من العناية الوالدية والاهتمام حيث كانت البكر وبدون مزاحم

ويقول فرويد ان رغبات الاطفال قد لاتخلو من الميول الجنسية فى كثير من الحالات فالطفل يلج باب هذا العالم وهو يحتمل فى حقيبة عقله الباطن ذخيرة وافرة من النشاط الغريزى ولكن هذا النشاط يتخذ فى تلك المرحلة صوراً وأوضاعا تلائم حياة الطفل واستعداده الجثمانى . ومع هذا قد نشاهد فى سلوك الطفل أموراً تدل على توافر النزعة الجنسية فى نفسه كالغيرة التى تشاهد فى الطفل على أمـه من أبيه أو على الطفلة من أمها على أبيها ، حتى قيل إن الطفل ان كان ذكراً كثيرا مايشتهى موت أبيـه وان كانت بنتاً تشتهى موت أمها (والموت فى نظر الطفل معناه أية وسيلة لابعاد الطرف المزاحم) وذلك لكى يخلو له الجو بمن يحبه ويهواه ، ولكن كلما اشتد ساعد الصغير قويت ارادته على إخماد هذه الميول المحرمة وكبتها فى العقل الباطن ولكنها لاتلبث أن تظهر فى أحلامه وهو كبير بشكل رمزي لأن ضمير الانسان ووجدانه المكتسب بالتربية والآداب القومية يجعل من أشق الأمور عليه أن يرى نفسه يمارس عملية القران الجنسى مع المحارم من الأهل وذوي القربى أو موت أحدهم

ومع أن معظم الاحلام ترمى الى تحقيق رغبة أو شهوة فان من الأحلام ما يمكن اعتباره وصفاً لانفعالات أو تأثرات نفسية قائمة أو وجدانات هائمة بالنفس دون أن ترمى الي تحقيق رغبة معينة . وعلى سبيل المثال أذكر وقائع الرؤيا الآتية مع بيان تفسيرها نقلا عن مذكراتى الخاصة . أما وقائع الرؤيا التى تقدمتها فهى كما يأتى : —

« بتاريخ ٢٨ ديسمبر سنة ١٩٢٧ توفيت المرحومة والدتى بنزف مخى وكان قد أصابها هذا النزف للمرة الثالثة أما المرتان الأوليان فكانت احداها فى سنة ١٩١٩ والأخري فى سنة ١٩٢٢ ومنذ ذلك الحين كنت أشعر بقلق دائم على حياتها وأوجس خيفة من النكسة الثالثة لخطورتها وقد لازمتنى حالة القلق إلي حين وفاتها ، وبعد الوفاة بأسبوعين تقريبا رأيت الرؤيا الآتية :

وجدتنى فى ميدان فسيح يشبه ميدان عابدين فى اتساعه وان جنديا حكم عليه بالاعدام قد جيء به الى ساحة الميدان لتنفيذ الحكم فيه رميا بالرصاص . أما اجراءات التنفيذ التى اتبعت معه فهى أنه وضع فى وسط جماعة من رفاقه الجنود يبلغ عددهم نحو سبعة ، وكان الجندى المحكوم عليه من دونهم معصوب العينين ، والاجراءات تقضى بأن يسير هؤلاء فى شبه دائرة متسعة حول رحبة الميدان وبينهم الجندى المذكور

وفى وسط الميدان اجتمع عدد قليل من الجنود المكلفين تنفيذ حكم الاعدام وبأيديهم بنادقهم فبعد أن يدور جماعة الجنود الثمانية عدة دورات تعطى لهم اشارة من الضابط رئيس القوة المنوط بها التنفيذ من مقتضاها أن ينفصل باقى الجنود السائرين عن زميلهم معصوب العينين ودون أن يشعر حتى يمكن اطلاق النار عليه حال انفراده ، ففى أثناء قيام الجنود الثمانية بدوراتهم الفيتهم قد انفصلوا عن رفيقهم المحكوم عليه بحيث أصبح منفردا فأدركت فى الحال ان لحظة التنفيذ قد دنت فحولت وجهى عنه حتى لا أراه عند اصابته برصاص البنادق وعلى الفور أطلق الجنود بنادقهم ، ولكن بالرغم من شدة تأثري دفعنى الفضول إلى النظر إلى الجندى عقب انطلاق النار ، فوجدته واقعاً على الأرض وهو منكفيء على وجهه يعالج سكرات الموت فهالنى المنظر وحولت وجهى عنه ثانية . بعد ذلك انتقلت بى الرؤيا فجأة إلى المنزل حيث وجدتنى فيه مع شقيقتىّ الصغيرتين ثم وجدت بيد احداها بندقية تبغى اطلاقها على رأس الجندى المحكوم عليه وهو يحتضر بقصد أن تضع حداً لآلامه ولكنها بعد أن صوبت البندقيه نحو رأسه أدارت وجهها عنه وهى فى حالة اشمئزاز وتأفف . وأذكر أنى لمتها وقتئذ لتصديها للقيام بمهمة كريهة كتلك فاعتذرت بعدم وجود من يقوم بها نيابة عنها . وبعد ذلك وجدت شقيقتها الأكبر سناً تناولنى كوبا فيه سائل مصفر اللون مدمم فهمت وقتئذ انه مخ الجندي الذي أعدم ، فأفهمت شقيقتى الصغري أن مهمتها تلك

قد انتهت وفارق الجندي الحياة بدليل وجود مخه فى الكوب وقد شرب كل منا جرعة منه ولكن دون أن يشعر أحدنا بأية غضاضة ثم تيقظت من نومى وأنا فى شدة التأثر والانفعال

أما الرؤيا فقد فسرتها على الوجه الآتى : —

الجندى المحكوم عليه بالاعدام وهو رمز للوالدة حيث كنت فى أثناء مرضها إذا مررت بغرفتها أدرت وجهى عنها محزونا ، وكثيراً ما كانت تحدثنى نفسى بأن هذه غرفة شخص محكوم عليه بالاعدام وفى انتظار ساعة التنفيذ . وعصب العينين فى الرؤيا رمز لجهلها بموعد الأجل وأما الجنود السبعة فرمز لأولادها « إذ عددنا سبعة » وحكم الاعدام رمز لقضاء الله وحكم القدر وخصوصا اننى كنت رأيت قبل وفاتها بشهرين فى المنام انها توفيت وحضرت من الخارج ووجدت بعض معدات المأتم فأخذت أردد فى الرؤيا قولى « هذا قضاء الله » ولعل قضاء الله وهو فى ذهنى رمز للموت هو الذى نبه فى نفسى حكم الاعدام نظراً لما بين كلمتى قضاء وحكم من ارتباط وما بين عبارتى « قضاء الله » « والاعدام » من الارتباط فى المعنى . أما الميدان الفسيح فهو رمز لميدان الحياة .

وربما كانت الدورات التى كان يدورها الجنود حول الميدان تعبر عن الدورات الحولية أو السنين التى قضتها الوالدة فى المرض انتظاراً لحكم القضاء المحتوم ، وانفصال الجنود أو الرفاق عن الجندى زميلهم المحكوم عليه رمزاً للفراق بسبب دنو الأجل . والاعدام بواسطة اطلاق الرصاص رمز لاهدار الدم وفيه معنى النزف المخى . وتحويل وجهى إلى الجندى يمثل تماما الموقف الذى كنت فيه عندما استدعانى الطبيب إلى رؤية الدتى وهى فى دور الاحتضار إذ بمجرد ان وصلت إلى باب مخدعها حولت وجهى عنها ولم أقو على رؤيتها وانما لمحتها وهى راقدة فى سريرها وكان شعورى وقتئذ يماثل تماما شعورى عند رؤية الجندى وهو راقع على الأرض عقب رميه بالرصاص

أما البندقية التى كانت بيد شقيقتى الصغري فكانت رمزاً لقوة الارادة التى اتصفت بها شقيقتى المذكورة ولاجترائها على دخول مخدع والدتها ساعة احتضارها ومواجهتها الموقف على الرغم مما كان له من أثر شديد فى نفسى . أما الكوب الذى شربنا منه فرمز لتجرع كأس الفاجعة وتحمل غضاضتها بصبر — أما مخ الجندى فرمز للصبر والتقوى وهما صفتان كانت متحلية بهما الوالدة وقد كنت عقب وفاتها أردد فى نفسى دائماً قولى « اللهم الهمنى صبرها وتقواها » ولما كان مصدر هاتين الخلتين هو العقل وان المخ هو موطن العقل والتفكير فشرب المخ كان رمزا يعبر عن الرغبة فى التهام ما كانت متحلية به من فضائل ضناً بها على الثرى أو كمن يريد أن يسوغها كما يساغ الشراب بغير جهد أو عناء وهو فيه معنى الالهام المطلوب وذلك فضلا عما بين كلمتى الهام والتهام من تشابه لفظى . وربما كان لذلك التصرف نظير بين عادات بعض القبائل فى العصور الأولى وان الرؤيا من هذه

الناحية معنى أثريا يمت لتلك العصور تأييداً لنظرية « يونج »

وقد رأيت أن أجتزىء شطراً من اجراءات التداعى التى أنتجها التحليل لتكون بمثابة نموذج صغير يدل على كيفية تسلسل الخواطر التى انتهى اليها التحليل وهى نقلا عن مذ كراتى :

(جندى) نبهت (جهاد) وهذه نبهت (حياة) ثم (موت) ثم (أم)

(ورفاق) عشيرة . زمرة . أهل . أولاد

(مخ) عقل . دين . ايمان . تقوى

(كوب) كأس . شراب . حلو . مر . صبر

(ميدان) فسيح . فضاء . كون . عالم

(بندقية) قتل . اعدام . حكم . قضاء . قدر

{ ائلهم ألهمنى صبرها وتقواها

ان تحليل الرؤيا المتقدمة قد يدل دلالة صريحة على أن هناك من الأحلام ما يعبر عن وجدانات قائمة بالنفس فعلا دون اشتمالها على رغبات جنسية مكبوتة ولكن هل لنا أن نقول ان ذلك فيه برهان كاف على خطأ النظرية الفرويدية فى تحليل الأحلام وهى النظرية التى من مؤداها أن معظم الأحلام ان لم تكن جميعها تعبر عن تلك الامانى ؟ لقد يحق لأصحاب هذا المذهب الاعتراض علينا بأن اجراءات التحليل التى اتبعت فى سبيل تحليل الرؤيا المتقدمة وما قد يماثلها هى الى مجرد التفسير أقرب منها إلى التحليل الذاتى الذى يقوم به الانسان فى سبيل تحليل خواطره الشخصية. مهما بلغ من الدقة وبعد النظر يتعذر أن يبلغ من العمق درجة تكفى لكشف المركبات الدفينة فى أعماق النفس وقرارة اللاشعور ، إذ أن التحليل العميق أشبه شىء بعملية فتح البطن وهو ما يتعذر على الانسان أن يجريه بيده فى نفسه بخلاف التحليل الذاتى البسيط الذى يقوم به الانسان إذ مثله مثل عملية فتح دمل صغير أو خراج سطحى . أفلا يحق بعد ذلك لفرويد وأصحابه القول بأن اجراءات التحليل لو سارت الى مدى أبعد غوراً فى النفس مما وصلت اليه لكشفت عن المركب الجنسى المكظوم من عهد الطفولة ؟ ألا يجدر بهم لفت النظر إلى ما تتضمنه وقائع أمثال الرؤيا المتقدمة من تعلق شديد بحب الام تعلقاً قد يشف من طرف خفى عن ذلك المركب المكظوم وهو المركب الوالدى المعروف فينا بمركب « أوديب »

لقد تكلمنا عن علاقة الاحلام بالماضى والحاضر ولم يبق أمامنا سوى كلمة وجيزة عن علاقتها بالمستقبل مستندين فى ذلك الى بعض الحوادث الواقعية والمشاهدات . غير انى لست ممن يؤمنون بصلة الاحلام بالمستقبل إلا عن طريق ارتباط المقدمات بالنتائج ، وان كل رؤيا تدل على أمر يتحقق فى المستقبل القريب أو البعيد لابد أن تكون لها مقدمات تدل على هذه النتيجة وكل ما فى الامر

ان المقدمات قد أصبحت مجهولة منا بعد أن كانت معلومة لنا ثم اختفت فى غياهب اللاشعور وظلت هنالك خاملا دفينا من العوامل التى ساعدت على الاستنتاج الباطنى . فان غفل العقل الظاهر عن كثير من شؤون الحياة التى كابدناها أو مرت بنا فى الماضى فان ذكرياتها لا تزال محتفظا بها فى جوف اللاشعور تمد العقل الباطن بكل مايلزمه من عناصر الاستنتاج ولهذا كان العقل الباطن أصدق فى الحكم على الامور وأبعد نظرا فى استطلاع المستقبل من العقل الظاهر

وزيادة فى الايضاح نضرب لذلك بعض الامثال

المثال الاول — رأيت ذات ليلة فى منامى أن صديقا من أصدقائى حضر من الخارج فى تاريخ معين ونظراً لاشتغالى فى ذلك الحين بدراسة الاحلام واهتمامى بتدوينها فقد دونت الحلم المذكور فى مذكراتى ثم ترقبت الجرائد فاذا بى أقرأ بعد يومين نبأ قدومه من الخارج فى نفس التاريخ الذى رأيته فيه فى الرؤيا فاستفزتنى هذه المطابقة الى استطلاع سببها فدلنى الاستقصاء على أن صديقى المذكور كان أخبرنى مقدما فى يوم سفره بالذات عن موعد عودته وكان ذلك يوم ٢٦ من شهر يوليو وانه سيغيب شهرين كاملين ولكننى نسيت ما كان أخبرنى به غير ان هذه الذكرى لم تغب عن تفكيرى الباطن نظراً لاهتمامى بأمر عودته لسبب من الاسباب ولهذا ظل عقلى الباطن يعد الايام يوما بعد يوم حتى اذا ما بلغت تمام الشهرين وهو يوم ٢٦ سبتمبر رأيته فى منامى. فهذه الرؤيا لا تدل على شىء من التنبؤ بالمستقبل أو كشف الغيب بل كل ما فيها انها تدل على يقظة العقل الباطن وسهره على فكرة ماثلة فى اللاشعور

المثال الثانى — أبلغتنى سيدة من أفراد العائلة على أثر ظهور طفح جدري الماء « الجديرى » فى وجهها انها قبل ظهور أعراض المرض بخمسة أيام رأت فى منامها — ان شخصا لوث وجهه بفرجون كان قد غمسه فى وعاء به سائل ملوث بالجراثيم وفى اليوم التالى لهذه الرؤيا رأت فى منام آخر أن امرأة عجوزا ناولتها وهى على حافة بئر علبة صغيرة بها حبوب فتذوقت حبة منها ثم ألقت بها مع العلبة فى البئر فخاطبتها العجوز وقتئذ بعبارة تتضمن ان دمها « أي السيدة » قد تسمم وقضى الامر وقد طلبت الى هذه السيدة أن أبين لها وجه العلة بين هاتين الرؤيتين وظهور العلة والعلاقة السببية بين المقدمة والنتيجة . فكان جوابى لها ان لمرض الجدري دور تفريخ يختلف بين عشرة أيام وأسبوعين عادة وأنها فى التاريخ الذى رأت فيه الحلمين المتتاليين كان قد مضى على تعرضها للعدوى زمن كاف لأن يترك فى نفسها أثراً ينم على دبيب المرض فى جسمها والشعور به عن طريق الاحساس الباطن أو بعبارة أخرى عن طريق العقل الباطن ولهذا جاء الحلمان معبرين عن حالة المرض القائمة بالجسم تعبيرا رمزيا . فتلوث الوجه بالماء الملوث بالميكروب يدل دلالة ضمنية على جدرى

الماء الذي أكثر مايهم السيدة فيه وجهها . والحبوب المسمومة التي تناولتها على حافة البئر رمز للبثور الجدرية

المثال الثالث — رأى أحد أصدقائي مرة فى منامه أنه أصيب بطلق ناري فى إحدى خاصرتيه (ولا أذكر أيتهما لمضى الزمن) وبعد ثلاثة أيام أصيب بمرض كلوى حاد بلغ من شدته أن يئس من الحياة وأرسل تلغرافا لأهله بالحضور . وظاهر من هذه الحالة أن مقدمات المرض كانت موجودة وهى تحرك الحصاة قبل احتدام الألم بثلاثة أيام الامر الذى أيقظ الرؤيا ونبه المريض الى قيام أسباب المرض قبل ظهور أعراضه الثقيلة ببضعة أيام

المثال الرابع — رأت فتاة فى منامها أنها تزدرد رصاصاً مذاباً وبعد يومين من هذه الرؤيا أصيبت باختناق لوزى حاد

المثال الخامس — رأت سيدة أنها تحمل حجر طاحون على رأسها وبعد ثلاثة أيام أصيبت بالتهاب سحائى

مما تقدم من الأمثلة يتضح أن من الاحلام ماقد يظن لأول وهلة أنه من قبيل الانباء بالمستقبل فى حين أنها لاتخرج عن كونها نتائج محتومة لمقدمات توفر العقل الباطن على العلم بها فبنى عليها أسباب استنتاجه وقد عرفنا مما مر بنا عند التكلم على العقل الباطن مبلغ مايتمتع به من قوة تفكير ودقة استنتاج قد تفوق ماللعقل الظاهر بمراحل ولاغرابة فى ذلك فالعقل الباطن مستودع الذكريات والاختبارات الخاصة بالنوع والفرد معا وهو مجمع الثروات الفكرية الموروثة عن جميع السلالات من أول ظهور الحياة على وجه البسيطة حتى الآن فهو أدنى اتصالا بقوانين الله عز وجل ونواميس الطبيعة من العقل الظاهر



من هو الرجل المهذب

لسلامة موسى

كان الرئيس ولسون رجلا مهذبا درس الكتب وخبر الدنيا . كان مديرا لجامعة برنستون ينظم الثقافة لشباب الولايات المتحدة ثم كان رئيسا للجمهورية فى سنى الحرب فحاول جهده أن يصون السلم ولكنه اضطر أخيرا الى الحرب . فلما انتهت او قبل أن تنتهى وضع الشروط الاربعة عشر التى كان « تقرير المصير » للامم الصغيرة واحدا منها . وهو شرط قد انتفعنا نحن به فى حركة ١٩١٩ . ثم كان اثره كذلك كبيرا فى ايجاد عصبة الامم . بل هى من مبتكرات ذهنه الخصيب المثقف

فاذا تكلم الرئيس ولسون عن الثقافة ماهى وكيف تكون ومن هو الرجل المثقف، فانه لايتكلم باعتباره رجل القلم والدرس فقط بل أيضا رجل السياسة العالمية والخبرة الدنيوية . ثم هو رجل مثقف قد أثمرت الثقافة فيه خير ثمراتها اذ جعلته انسانا بشريا يطلب الدنيا كلها وطنا له ويسعى للسلام وينشد الحماية للامم الصغيرة من الامم الكبيرة . فاذا قسناه باختباراته الماضية ومؤلفاته فى الجامعة او بما انتهى اليه من الشروط الاربعة عشر او اختراع عصبة الأمم فاننا نجد فيه أجل مثال للرجل الشريف المثقف . ولهذا السبب لانخطىء إذا نحن اعتمدنا عليه فى صفة الرجل المهذب وهو حين يصفه انما يصف نفسه

فقد وضع الرئيس ولسون أربعة شروط للرجل المهذب هى :

١ — ان يعرف تاريخ العالم منذ بداية الكون فنشأة الحضارة الى الآن

٢ — ان يعرف تاريخ الافكار السائدة التى يسير عصرنا على مبادئها

٣ — أن يعرف علما من العلوم فى المعنى الذي يطلق عليه اسم Science فى اللغات الاوربية

٤ — ان يعرف لغة ما وخير اللغات التى يعرفها هى لغته التى نشأ عليها

* * *

هذه هى الشروط الاربعة للرجل المهذب أو الرجل المثقف كما يراها الدكتور ولسون .

ويمكن كلا منا أن يسأل نفسه : هل أنا مهذب وهل قد استوفيت هذه الشروط الاربعة أو هل أنا نصف أو ربع مهذب لم استوف غير شرط أو شرطين من الاربعة ؟

ولكن ربما يتساءل بعضنا لماذا هذه الشروط الاربعة ولماذا لاتكون عشرة أوسبعة ؟ فالجواب ان الدكتور ولسون قد اختار الاهم قبل المهم واختار الاساس قبل الجدار والأعم قبل الأخص . ونستطيع أن نبين أهمية هذه الشروط بالشرح القليل . فان الذى يطلبه الرئيس ولسون أن تثمر هذه الثقافة التى يحددها فى هذه الشروط رجلا صالحا فى العالم بارا بالانسانية وهو يبرها فى ذهنه نير ثم يجب أن يفهم مبادىء الحضارة الحديثة ولا يعارض تقدمها . بل يجب عليه أن يكون عضوا عاملا فى تقدمها

فالشرط الاول أن يعرف الرجل المهذب تاريخ العالم . كيف نشأت الحياة الاولى على الأرض ثم تطورت رويدا رويدا حتى ظهرت فيها انواع من النبات والحيوان ينقرض بعضها ويبقى بعضها وهى فى خلال هذا التطور تنهض وتنتكس الى أن ظهر الانسان . وهو مع ذلك ليس ختام الدرامة . ثم كيف تسلط على غيره الى أن استطاع أن يخترع الحضارة الاولى على ضفتى هذا النهر المبارك نهر النيل

ثم كيف نشأت الحضارة وتطورت وهى تعانى مظالم الكهنة والمستبدين ورزايا الحروب وبلايا القحط والوباء . وفى خلال ذلك يكتشف هذا الانسان الاول أن له ضميراً وأن حبه لأمه وزوجته وأولاده يتسع حتى يصير حبا للبشر جميعهم

وجدير بهذا الذى يدرس تاريخ العالم أن يشعر أنه ابن العالم وأن البشر أخوة وأن الحرب جناية . ثم هذا العرض لتاريخ الدنيا يكسبنا فكرة التطور ثم مزاج التطور لان الدنيا لم تكن قط على حال واحدة اذ هى تتغير ويجب أن تبقى فى هذا التغير . ثم هذا التاريخ اذا بعث فى نفوسنا الاطمئنان من ناحية البر والخير فى نفس الانسان فانه يبعث الشك والتوجس من ناحية النظم الاجتماعية التى انتهت مرة ما بل مرات بالعصور المظلمة . وما أدرانا فلعلنا هذه الايام على وشك الدخول فى عصر مظلم . فلا أقل من أن نعرف علاماته ونحتاط لها بدرس تاريخ العالم ونميز بين سيادة العقيدة الحزبية وسيادة الرأى الجدلى

ثم هذا الدرس لتاريخ العالم يعين لنا سمات الحضارات المتعاقبة والوان الجمود والرقى فيها الى أن تنتهى الى الحضارة الصناعية القادمة

والشرط الثانى للرجل المهذب أن يعرف تاريخ الافكار السائدة سواء أكانت سياسية أم اجتماعية أم علمية . فنحن فى عصرنا الحاضر نسير بقوة أراء تسوقنا وترسم لنا خططا وغايات فيجب أن

نعرف تاريخ هذه الآراء والجهود التى بذلت فى سبيل تحقيقها

فهناك هذا الرأى أو الفكرة القائلة بالديمقراطية كيف وأين نشأت وما قيمتها وما دلالتها وهل يجب أن تموت أو تعيش ؟ . ثم ماهى قيمة الحرية الفكرية أو التسامح الدينى أو فكرة الدستور أوغير ذلك من الافكار والآراء التى خاض الناس من أجل تحقيقها فى بحار من الدماء وهل كانت جهودهم حسنة أدت إلى خدمة البشر؟ وإذا كان الامر كذلك فهل هى تستحق العناية من المستمتعين بها والجهد لصيانتها ام تترك للمستبدين والجامدين والرجعيين لكى يمحوها من لوح التاريخ البشرى ؟

وهذه الافكار أو الآراء التى تسود الحضارة الراهنة لاتكاد تحصى . فاننا نؤمن مثلا بفكرة الجامعة للتعليم وفكرة التعاون للعمال وكذلك بفكرة النقابة كما نؤمن بحرية المرأة . وفكرة « تقرير المصير » إحدى هذه الفكر الخصبة المثمرة

والشرط الثالث للرجل المهذب أن يعرف علما من العلوم الحديثة وذلك لأن الحضارة الصناعية القائمة فى العالم الآن تستند إلى أساس قوى من الثقافة التى أثمرت الغازات الفاتكة من ناحية كما أثمرت الاقمشة والاسمدة الصناعية لتوفير الغذاء والكساء . وهى شر وخير . ولا يمكننا أن نفهم مغزاها إلا إذا فهمنا علما من العلوم ، وميزة العلم أو صفته أنه يمكن أن يقاس سواء أكان القياس بالمتر أم بالجرام أم باللتر . وما لايمكن قياسه فهو ليس علما

وليس شيء من الصناعات الحاضرة إلا وقد أغار عليها العلم ووسع نطاق الانتفاع بها

فنحن نجده على السواء فى اناء الطبخ للطعام كما نجده فى جهاز الميكروفون . ونجده فى زراعة البرسيم كما نجده فى تحليل الضوء المنبعث الينا من المجرة . ونجده فى وفيات الاطفال كما نجده فى صنع الطائرات

والرجل الذى ينقف نفسه بالثقافة العلمية ينطبع فى نفسه المزاج العلمى . فهو يعتمد على القياس والتجربة وهو لايستسلم حتى لمنطق الذهن المجرد لأنه لايقتنع بالتفكير فقط بل يزيد عليه التجربة باليد . فهو يفكر بذهنه ويده . وهو لهذا السبب لا يرفض تصديق القصص عن العفاريت ومناجاة الأرواح وقراءة الكف وفراسة الوجه وطالع الحظ وما إلى ذلك فقط بل هو لايعرف كيف ينصت مستمعاً فقط الى هذه القصص والاساطير لأن مزاجه العلمى قد بعث فيه اشمئزازاً حسنا من هذا السخف . والرجل الذى يجهل أحد العلوم لايصح أن يعالج دراسة ما لأنه يعالجها عندئذ بروح الجاهل الذى يخشى خطره لأنه يعتمد على استنتاجات لاتؤيدها التجربة

أما الشرط الرابع للرجل المهذب فهو أن يعرف لغة ما معرفة متقنة . ونفضل لغته الاصلية

التى نشأ عليها . وهذا شرط لاغنى عنه لأن التفكير الحسن لايستطاع بلا مدخر كبير من الالفاظ بل نحن لايمكننا أن نفكر بدون الالفاظ حتى انأحد السيكلوجيين وهو الدكتور واطسون يقول إن التفكير هو كلام صامت كما ان الكلام هو تفكير صائت . وهناك مايرجح صحة هذا القول . والذي يلاحظ أن لكل شخص ألفاظه التى تكثر فى حديثه أو فى كتابته وهى بالطبع تدل على اتجاه تفكيره ولونه إذ هو يختار الالفاظ التى تعبر عما يشتغل به ذهنه فاذا كان تافه التفكير كانت الالفاظ كذلك . وقد كان هربرت سبنسر يقول انه يمكنه أن يعرف وزن الرجل الذهنى عقب استماعه لحديثه لانه يعرف من الالفاظ التى يستعملها أي الموضوعات تشغله وكيف تشغله

وأحسن اللغات التى يجب أن نتعلمها ونتقنها هى اللغة التى رضعناها من أمهاتنا . وهى اللغة التى نستطيع أن نتقنها . ومن السخف أن نتعلم لغة أجنبية نصف تعلم أو ربع تعلم . لأن اللغة وسيلة غايتها القراءة والاستنارة المتوالية . فاذا لم نعرفها حق المعرفة لم ننتفع بها . ومن هنا الخطأ الفادح فى تعليم أولادنا لغتين أجنبيتين حين كان يمكن الاقتصار على واحدة ربما يستطاع اتقانها فتفيد

* * *

هذه هى الشروط الاربعة للرجل المهذب كما رآها الرئيس ولسون . وهى جديرة بان تثمر فى صاحبها أحسن الثمرات فتحركه الى العمل وتجعله داعية للحق والاصلاح والرقى . فان الرجل المثقف لايطيق الظلم ولايرضى بالجمود لأن ثقافته قد امتزجت بدمه وأصبحت جزءا من روحه وارادته . وهو لايمكنه أن يحبس فى نفسه أفكاراً عن الرقى والاصلاح قد اختزنها ذهنه بالقراءة أو التفكير فى حين يرى الوسط حوله وهو ينادي بل يصرخ بالحاجة اليها . فهو لابد مناد أيضا بها ولو اصطدم فى ذلك بالعقبات التى تؤذيه فى عيشه . وهذا الروح الشريف هو روح الاستشهاد فى سبيل الحق والشرف والرقى الانسانى

ومثل هذا الرجل المهذب لايمكنه أن يمالىء الاستبداد لأن ذهنه حافل بالجهود التى بذلت فى سبيل الحرية . ولايمكنه أن يتعصب لفكرة ما أو مذهب ماتمعصب الاضطهاد والكراهة لأنه يعرف قيمة التسامح فى تاريخ البشر . ثم هو يكره الحرب لأن تاريخ العالم قد أشعره بالأخوة البشرية . ثم هو اذا كان عال فى مزاجه التفكيرى فهو متدين فى مزاجه يحب البشر ويرجو الخير لمستقبل الانسانية

فما عندك من هذه الشروط الاربعة ، وماذا أنمو فيك ماعندك منها ؟

ادوارد الثامن سابقا والدوق وندسور الآن

قبل ان ينزل الملك ادوارد الثامن عن العرش بشهرين فقط ظهر كتاب عنه لمؤلفه المستر بازيل مين وهـو من اصدقائه الذين عاشروه مدة ولايته للعهد . ويرى القارىء هنا تلخيصا لهذا الـكتاب بقلم الاستاذ عبد الملك اسكندر

نزل الملك السابق ادوارد الثامن عن العرش واختفى من عالم الحياة السياسية ، فاذا حاول العالم بأسره والشعوب البريطانية خاصة تناسيه وتناسي الاسباب الظاهرة والتى دعت الى نزوله عن سرير الملك لأعظم دولة فى القرن العشرين ، فان هناك صديقا حميما للجميع لن يتناساه . فان التاريخ لم ينسه ، بل فتح له صدره وأعد له صفحة بين صفحاته ، كما فتح لغيره من الملوك البريطانيين ، فسيحسب بين من جلسوا على هذا العرش العظيم بل سيدون أنه فوجىء بسابقة لم تحدث لغيره من الاسلاف ، فوقف حائرا بين عاملين ، عامل القلب وما يصحبه من سعادة شخصية ، وعامل التاج وما يرافقه من مركز ملوكى ، حتى اختار ما يحلو له . ولسنا هنا فى مجال استحسان هذا الاختيار اواستنكاره ، ولـكنا نريد أن نبين ، بمناسبة مارددته بعض الصحف فى جميع أنحاء العالم أن هناك سببا حقيقيا غير الغرام بحسناء بلتيمور المطلقة مرتين ، نعم رأينا من الواجب علينا نحو الحقيقة والتاريخ أن نلخص بعض ماكتبه أصدقاء ادوارد الثامن أنفسهم عن حياة هـذا الرجل وماكانت تتوقعه بريطانيا منه وهل سيبقى متربعا على سريره الى نهاية حياته ؟ وهل هو لا يؤمن بالتقاليد الملكية وما يصحبها من تقييد الحرية الشخصية ؟ وأخيرا لم لم يتزوج قبل تربعه على سرير العرش ؟ وأخيرا هل كان يعطف على العمال حتى اتهم باشتراكه فى النزعات الحزبية ؟

والذين كتبوا عن ادوارد الثامن أو الدوق وندسور الآن كثيرون ، إذ هو صديق الجميع ، ولـكنا نذكر منهم أخص هؤلاء الاصدقاء ، فقد كتب المستر توماس مدلتون ، فى الصحف الامريكية عام ۱۹۳۰ عن معرفته الشخصية له أنه يرفض الزواج ويكره الرسميات الملكية ، وبازيل مين الذى وضع عنه أحدث المؤلفات بعد تربعه على العرش عام ۱۹۳۵ ، فهو بذلك أحدث كتاب بحث تاريخ الدوق وندسور فى جميع أدوار حياته بحثا مستفيضا يشفى غليل الذين يبحثون وراء الحقيقة لذاتها وكتب مقدمة هذا السفر النفيس السير هارى بريتان

يقول السر هارى بريتان ، فى هذه المقدمة ، ان ادوارد الثامن اعتلى الاريكة البريطانية وليس فى حاجة الى مثل مايحتاجه نظراؤه من الملوك فى وقت اعتلائهم عروش آبائهم وأجدادهم اذ أنه معروف الى شعبه . فألوف بل ملايين من رعاياه فى جميع أجزاء تلك الامبراطورية الواسعة الأرجاء قد رأوه رأى العين وأصغوا الى نبرات صوته

والواقع أننا لو درسنا تاريخ ادوارد الثامن فى مؤلفات أصدقائه والمقربين اليه ، لعرفنا أن النتائج الحالية كان لها مقدمات دلت عليها منذ حقب طويلة

ففى حياته الخاصة قد تمتع ككل شاب بريطانى فى مثل سنه وصحته ، ولكن فى حدود واجبات الوارث للعرش ، كما قام بأعباء كثيرة . وهو مولع بالاطلاع ، شغوف بأن يكشف غوامض كل أمر يلفت نظره ، بل وتدعوه هذه الرغبة الملحة على أن يبذل المستحيل فى سبيل تحقيق أى غرض من أغراضه ، ولما كانت الرغبة هى الدافعة الى العمل فكان يعمل بهمة عجيبة وعزم أكيد ما ينوء بحمله من كان فى مثل شبابه . وهو يمتاز بذاكرة عجيبة نادرة ، اذ لاينسى قط الحوادث التى تقع له ، والوجوه التى يقابلها ، وعلاوة على هذه الصفات فهو وديع كريم الجانب الأمر الذى حببه وصيره عزيزا عند كل من أسعده الحظ بالتحدث معه ومعرفته

وهو مغرم بالقيام بصعاب الامور ، لاتلين له قناة ، ولا يحيد عن رأيه مادام يعتقد بصوابه . ولهذا نظر اليه بعض الشيوخ من الساسة البريطانيين بأنه متشبث برأيه إلى درجة العناد ، حتى أن هذه الصفة لازمته طيلة حياته إلى أن اعتلى العرش ، ففى أبان الحرب العظمى أراد اللورد كتشنر أن يثنيه عن عزمه ورغبته التى ابداها للالتحاق بالجيش العامل فى الميدان الغربى بفرنسا ، ولكنه لم يفلح اذ لم يعدم الامير الوسائل التى مكنته من هذا الانضمام واشترك فيها متنقلا بين ميادينها المختلفة

وكان يعمل فى هيئة أركان حرب الجنرال جون فرنش ، ومما لاريبة فيه أن رحلاته إبان هذه الحرب قد اكسبته خبرة عظيمة وسنحت له الظروف لأول مرة بأن يشاهد كثيرا من الممالك والبلاد وفى ذلك يقول عن نفسه « فى الأربع السنوات التى قضيتها قد اختلطت بالرجال ، وفى أثناء هذه الاربع السنوات قد خلقت رجولتى . وكلما أفكر فى المستقبل وفى العبء الذى ينتظرنى ، أشعر بأن التجربة التى اكتسبتها قد سلحتنى بكامل الاسلحة » والواقع أننا لو اعتبرنا فترة التلمذة التى قضاها فى الجامعة فاتحة لاكتشاف ما امتاز به من مواهب فقد كانت الفترة التى قضاها بين زملائه فى المقدمة ، هى التى أكملت مابدىء به اذ لم تؤثر حادثة فى مجرى حياته كما أثر التحاقه بالجيش العامل فى فرنسا

وكم من مفاجئات خطيرة حدثت له ابان الحرب، لمجازفاته رغم أوامر الجنرال هايج اليه ، ورغم اوامر القيصر غليوم الثانى الى قوته الجوية بالا تلحق ضررا بالعائلة الملكية البريطانية . فقد سبق أن خشى قواد الحلفاء عندما خاطر الملك جورج الخامس بحياته ليختبر بنفسه مدى مافيه رعيته . وقد أظهر الملك سروره أن يرى وارثه وأكبر أفراد عائلته يقاسمهم هذه المخاطر ويشاركهم عيشتهم

وفى عام ١٩١٦ الحقته السلطة العسكرية باسطول البحر الأبيض فامضى بعض الوقت فى مصر ومن ثم الى ايطاليا . ولقد ترددت الاشاعات حول زواجه وايجاد اتحاد انجلو ـ ايطالى . وخاصة لما رؤى فى العربة المكشوفة رفقة ملك ايطاليا وبعد ذلك انضم الى الأسرة بعد ان عاد الى لندن بقصر وندسور . ولا يتسع المقام لذكر الحوادث والمفاجئات التى حدثت له ابان هذه المدة وخاصة ما أخبر به أحد المهاجرين البلجيكيين الملكة مارى من أن ابنه قد رأى طائرة الألمان تطارد الأمير فى قرية فلاندر التى زارها دون علم قيادته لولا المفاجـأة باحتمائه فى بدروم منزل كان مستعملا للصليب الأحمر ومشاركته ممرضاته العمل

ديمقراطيته

لقد كان ادوارد الثامن ديمقراطيا بمعنى الكلمة واذا قورن بغيره من الملوك والامراء حتى ببعض الساسة من الوزراء لعد متطرفا فى ديمقراطيته هذه . وقد دل على هذه الديمقراطية ابان حياته المدرسية واختلاطه بالطلبة زملائه خاضعا لقوانين المدرسة كما يخضع لها أقل تلميذ حتى أنه لو لاحظ بعض رعاية توجه اليه لأظهر سخطه وامتعاضه ، ويعد هذا خروجا منه على التقاليد الجامعية منذ ثلاثة قرون ، اذ أن أمير ويلس « ابن جيمس الأول » كان معه خدمه الخاص وغير ذلك من الامتيازات التى كانت تشعر بمركزه . وسار على منواله الجميع حتى الملك ادوارد السابع أيضا

ولقد كان حاضر البديهة يعرف كيف يتخلص من المواقف المحرجة ، فقد حدث له أن اجتمع ونفر من زملائه الطلبة وكان الحديث ، وهو ذو شجون ، فاذا بهم من متطرفى الاشتراكية ، وعقيدة الاشتراكية كما هو معروف تتعارض مع الملكية ، فسقط فى أيدى الجميع . ولكنه عمل على انقاذ الموقف بكل لباقة وكياسة ، دون أن يشعر أحد

ولقد كانت أسعد أوقاته المسامرة مع زملائه فى الجيش ، يلعب معهم دون تكلف ، فخشيت القيادة وأنذرته بالا بتعاد عن ذلك دون أن يعبأ ، ومن طريف ما يذكر أنه كان يحمل سيجارا ويقف ضاحكا ، فى الطريق يطلب نارا ، أو يحمل نارا ويطلب سيجارا ، وأغلب مزاحه كان مع الجنود الاستراليين

ولما كان أميرا ، ذكر أحد أصدقائه المستر توماس مدلتون فى كتاباته « أنه موقن لو خير أمير ويلس لما اختار أن يصبح ملكا لبريطانيا » ولقد أثبتت الحوادث عام ١٩٣٦ صحة هذا اليقين . « اذ يعز عليه أن يتخلى عن كثير من مسراته ورياضته التى هى الحياة الحقة عنده » . اذ عندما تولى العرش تخلى عن المعيشة البسيطة الحرة البعيدة عن التقاليد والرسميات ، وكثيرا ما كان يردد لأصدقائه أنه كلما انتهى من بعض مهامه الرسمية ، بل وبعد جلوسه على الأريكة الامبراطورية ، عاد انسانا عاديا يسامر ويخالط دون نظر الى الطبقة التى يخالطها . وقد قيل انه لو تمكن أن يحيا حياة البساطة لما كان غير المستر وندسور، وهو ينتهز كل فرصة ليكون ذلك المستر وندسور، وشاء المصادفة أن يكون أخيرا « دوق وندسور » ولهذا كان ينظر الى تولية العرش كمشكلة من أعقد مشكلاته كما امتاز بالصراحة فى قوله وفى أعماله دون أن يخشى أحدا ، حتى أن والديه كثيرا ما نصحوا له بأن يقتصد كثيرا فى ذلك . ومما يثبت أنه يعمل بما يوحيه اليه ضميره ، تلك الحادثة التى حدثت ابان رحلته الهندية عام ١٩٢١ . اذ فى أثناء تجواله بين جموع الأهلين المتزاحمة ، رأى جماعة منهم تدل عيونهم المتطلعة اليه على ما فى وجودهم من مأساة . وكيف أنهم منبوذون من قومهم ومواطنيهم وبينما العربة تقطع الطريق ، دهشت الجموع عندما ترجل . ورآه الناس فى مواجهة تلك الفئة البائسة وحياها أحسن تحية

رحلاته وأعماله الرسمية

إننا لو قابلنا المدة التى قضاها ادوارد الثامن منذ ظهوره فى معترك الحياة الاجتماعية ، بعيد الحرب فى انجلترا ، بالتى قضاها خارجها لقلنا انه كان الملك الجوال والسفير الملوكى المتنقل . وأول عمل رسمى قام به أنابته عن والده فى احتفال ايطاليا بدخولها الحرب وتوديع جيوش الحلفاء فى الرين

عاد إلى بريطانيا بعد رجوع المحاربين لأوطانهم . واختلط بالعائلات الانجليزية . كما اتخذ زيارة منازل العائلات الفقيرة وجعلها من أقدس واجباته . وبعد أن أمضى كثيرا من الوقت فى الاستمتاع بمرافقة العائلات . وكان يظن أن يكون هذا بمثابة خطوة أولى لتكوين عائلته هو . وخاصة بعد أن اتخذ « بورت بلفدير » مسكنا خاصا له وخوطب فى ذلك فأمهل حتى يأتى من رحلته الامريكية . وبذلك فتحت أبواب الرحلات التى لم ينته منها حتى اعتزاله العرش ورحيله الى أواسط أوربا ضيفا على آل روتشلد . ويقال انه فكر فى هذه الرحلات لتكون له خير حام من الحاجة الذين يقولون بضرورة زواجه . وقيل أيضا غير ذلك أنه اتخذها سلوى له

ابتدأت رحلته الى كندا والولايات المتحدة سنة ١٩١٩ . ولم يوضع نظام معين لهذه الرحلة .

وصمم على أن ينتقي رفقاءه بنفسه فوصل فى ١١ أغسطس إلى الارض الجديدة . وبين مظاهر الحفاوة التى قوبل بها زار الآلاى الذى أرسلته هذه الجزيرة إلى الحرب . ومن ثم الى كندا وخطب فيها حيث قال « .. ذلك اليوم الذي كنت انتظره بـكل تلهف ولن أنساه . ثم أنى أشعر بأنى لم آت الى هذه البلاد كغريب . فقد شاركت جيوش الدومنيون فى كل ما قاسوه . كما أنى شديد الرغبة فى أن يعتبرني الـكنديون كنديا مثلهم فان لم يـكن بالمولد فبالتفـكير والعاطفة » ولقد سر من هـذه الزيارة لأنه وجد فيها ماتطمع اليه نفسه وميوله

ولم تـكن زيارة الولايات المتحدة من ضمن البرنامج . ولـكن الظروف اضطرته أن يستأذن والده لزيارتها فوصل الى وشنطن . وتلك أول مرة منذ نصف قرن يطأ أديمها « دوق ويلز » . ولقد كان من سوء الحظ أن الرئيس ويلسن كان مريضا فلم يتمـكن من استقباله فأناب عنه المستر لانسنج . وقابلته زوجة الرئيس وابنته . وترددت الاشاعات والأقاويل عن زواجـه من أمريـكا بلاد المال والجمال

وقـد أظهر رجال الأعمـال فى نيويورك وزوجاتهم وبناتهم « وخاصة الاخيرات » له كل اكرام واجلال

وفى ربيع عام ١٩٢٠ ارتفع صيته لرحلته الثانية لزيارة قامتى آسيا . إذ بعد رجوعه من رحلته إلى شمال الدنيا الجديدة ، ابتدأ بضع الخطط لرحلة أخرى عن طريق قناة بناما . فاقلع من بورتسموث وكانت أيام البحر مفيدة لصحته ولقد حدث فى اثنائها أن اشتد النوء فسقط أحد بحارة البارجة فأثر ذلك فيه وأرسل برقية عند وصوله الى بربادوز يعزي أسرته . ومن ثم عرج الى الأنديز وزار القبائل ومكث معهم مدة . ولقد كان سروره لايوصف لمرافقـة ومراقصة فتياتهم . ولـكنه لاحظ أنهم مثلوا معه دور سندريلا

وفى اكتوبر عام ١٩٢١ يمم الى الهند . ويعوزنا الـكثير من الصفحات حتى نصف هـذه الرحلة حق الوصف . وأعماله التى قام بها هناك . مثل افتتاح البناء الجديد للبرلمان . والجامعة الهندية . ويكفى أن نذكر قول الملك نفسه عنها « إنى لازلت تلميـذا متعطشا لأدرس أعجب الاشياء فى كتاب الهند » : أسواق . بولو . معابد . رقص وطنى . بل كل ماهو مدهش وعجيب . غير أن الرحلة كدرت بحادثة أخذت اهتماما كبيرا . ففى الطريق من دلهى الى باتيلا . قيل أن عربته قد أصيبت بمقذوف نارى . ونشطت أبحاث البوليس . وأخيرا علت الحادثة بعد الـكشف على عربات الحاشية أنه لم يـكن مقذوف نارى بل يرجح أنه حجر . بل ان هذا أيضا لم يرم . بل اعترض العربة فى الطريق فاحدث من شدة اندفاعه وتصادمه مع عربة أخرى هذا الصوت . أما عن الشعوذة الهندية فمنها

الكثير . إذ لما كان مغرما بالرقص فقد راقص الكثيرات . ورقص الكثير من الهنود عراة الاقدام على نار تتلظى ومن ثم تقدموا اليه ليري أن لحم أرجلهم لم يتأثر

وبعد أن قطع الهند فى جميع أرجائها ، وصل الى كراتشى ، حيث كانت « رينون » فى انتظاره فرغب فى زيارة اليابان فوصل الى يوكاهاما ومن ثم الى طوكيو حيث استقبله الامير « الوصى » وقد اعادت هذه الزيارة ذكر التحالف البريطانى اليابانى . ومن المصادفات حدوث زلزال فى اثناء زيارته هذه ولكن لله الحمد لم يحدث ضرر ما

يطلق البعض على ادوارد الثامن رجل العالم ، ويقصدون بذلك كثرة تجاريبه واختباراته التى استفادها إذ لم يكد يمكث إلا قليلا فى بريطانيا بعد رحلة الهند حتى أقلع فى ٦ سبتمبر سنة ١٩٢٣ من بورتسموث مع لورد رنفرو ، وهو جوال شهير ، وسير جود فري توماس ، وسير ولتر بيكك وغيرهم فى رحلة الى الرفيرا ومن ثم الى لندن فى ٢٤ — ٤ سنة ١٩٢٤ لافتتاح المعرض الامبراطورى فى ومبلى

وبعد أن رأى أن المعرض ، بصفته رئيسه ، قد سار فى طريق النجاح ، أراد أن يجدد رحلاته ثانية ولتوثيق العرى مع الولايات المتحدة لزيارة الرئيس كوليدج ، اذ فى أواخر أغسطس مر على نيويورك فى طريقه إلى العاصمة . فتغدى فى البيت الابيض مع الرئيس وزوجته ومكث معهما ساعتين ومن ثم إلى كندا

وفى ربيع ١٩٢٥ ابتدأت الرحلة الأفريقية وانتقل بين ربوعها متبعا الساحل الغربى فزار نيجريا . ثم السودان الغربى وفى كانو أقيم « دربار » وهو المعروف عندنا بالبرجاس حيث أتى عشرون الف خيال برياسة الزعيم المسلم وحيوه أحسن تحية . وأعدت له مدينة الرأس مهرجانا عظيما . ولقد كانت الرحلات مليئة بالمفاجآت كترانيم أطفال السكان ورقصة الزولو

وفى المدة من ١٩٢٦ الى عام ١٩٢٨ كان يستعد لرحلة كبيرة الى شرق افريقية مع دوق جلوستر ولكن بعد اتمام الاستعدادات توفيت جدته الملكة الكسندرا . فاعتكف فى بريطانيا حتى ديسمبر سنة ١٩٢٨ فابتدأت الرحلة وبرفقته الجنرال ج . ف . تروتر « وكان يلازمه دائما فى كل رحلاته » . وكولونيل دى هن . وبيرس ولبج . ومستر ادوارد بروك ومستر ا. ف. لاسلس . عن طريق مرسيليا والاسكندرية

وفى الاخيرة استقبله المندوب السامى وأحضر له الحاوي « جالى . جالى » لأخراج الفراخ والبيض من أنف مساعديه

وفى اليوم الثانى زار الملك فؤاد فى قصر رأس التين ومن ثم المتحف المصرى ولعب

الجولف فى سفح الأهرام . ومن ثم إلى بورسودان الشديدة القيظ . وعرج على الأحراش لصيد الأسد

وفى أثناء الرحلة عند دودما . بين طهرا ودار السلام ، سمع لأول مرة بانحراف صحة الملك جورج الخامس . وسارت الرحلة فى مجراها وصيد الجاموس البرى على قدم وساق . لأن أخبار والده مازالت مطمئنة . وهو يخاطر فى هذا الصيد . محبا للحياة البرية . ومن المغامرات التى كاد يفقد حياته فيها تلك المحاولة التى وجد فيها فيلا متوحشا اندفع من فوق الأكمة يريد افتراسه . فأنذره رفقاؤه من الوحش القادم ولكنه لم يعبأ . اذ كان مهتما بالكاميرا . والفيل مسرع حتى كان على بعد أقل من خمسة عشر مترا . فأصابه رفقاؤه برصاصة سقط بعدها قتيلا . ولولا يقظتهم لفقد حياته . وإنه يعوزنا الكثير لنسرد تلك المغامرات التى تدلنا على عدم اكتراثه بها مهما كانت خطيرة . غير مهتم بوظيفته ومركزه فى الدولة

فى ٢٧ نوفمبر سنة ١٩٢٩ بينما هو فى الغابة يمرح وصلت رسالة عند كوندوا منبئة بخطورة مرض والده . وفى ٢٨ نوفمبر الساعة ٤ صباحا سافر بالقطار الى دار السلام . وبعد ثلاثة أيام عدن . وبعد يومين السويس ويومين بورسعيد . وها هى السفينة « رنيون » مسرعة فى جو ردىء وبحر متلاطم الأمواج ، وصلت الى برنديزى فى ١٠ ديسمبر وهناك قابله سير جود فرى تر ماس بالأخبار المطمئنة . وقطار خاص من الحكومة الايطالية حتى كان يوم ١١ ديسمبر الساعة ١١ ونصف مساء فى محطة فكتوريا . اذ وجد أخبارا سارة . دخل قصر بكنجهام ، بعد فترة وجيزة أراد والده أن يسمع أخبار الفيلة

لم يكد الملك جورج الخامس يسترد بعض صحته حتى حن وربنه إلى اتمام رحلة افريقية وغيرها فأبحر فى ٣ يناير سنة ١٩٣٠ الى افريقية وأصيب هذه المرة بالحمى فى بحر الجبل . ورجع سريعا عن طريق الخرطوم واسوان فالقاهرة ثم أبحر من بورسعيد

شفى من مرضه فعاوده حنين السفر ، فيمم شطر ارجنتين لزيارتها مرة ثانية عام ١٩٣١ وكان الامير قد سافر اليها من قبل سنة ١٩٢٥ ، ثم وصل أول مارس فقابله الرئيس اريبرو . ومن ثم قصد الى برمودا وجاميكا ، وبناما ، وهافانا ، وبوليفيا وبيرو وشيلى

رياضته

إن الملك السابق ادوارد الثامن رياضى إلى أقصى حد . يطير ويركب الخيل . وكم من مرة غامر فى ذلك . فهو محب للسرعة . وقد أنبىء أن هذه المجازفات لا تليق بوارث العرش . أما عن الرقص فحدث

عنه ولا حرج فهو نابغة فيه حتى أن كل من تراقصه تصرح بأنه فضلا عن شخصيته فانه يسر شريكته إذ يرقص بغرام وحماسة . يحب منه الفوكس تروت ويبغض التانجو وهو أول من رقص فى أوربا تقريبا رقصة « البلاك بوتوم » التى رآها فى أمريكا إبان زيارته لها . وهو صياد سمك ماهر . وعازف وموسيقى بارع

هل فى قدرته الزواج ؟

أظن أنه من رغبة كل شخص وقد عرف ما مضى عن حياة ادوارد الثامن ، أن يتساءل عن أمر زواجه وهذا السؤال لايحتاج إلى كثير من المتاعب للاجابة عليه . اذ هو واضح دون شك . فالملك رجل فى قدرته الزواج . وأما لم لم يتزوج الى الآن وقد تولى عرش الامبراطورية ؟ ذلك لأنه لم يقابل المرأة التى يرغب فى أن تكون امرأته « وقد وقع اختياره على مسز سمبسون ونزل بسببها فى ديسمبر سنة ١٩٣٦ عن العرش » . ولقد أثير موضوع زواجه هذا عام ١٩٣٢ . وقد اتخذ أحد أصدقائه بازيل مين على عاتقه أن يخاطب الامير فى ذلك قائلا « بما أن أمير ويلس بلغ الثانية والاربعين فمسألة زواجه هذه خطرة ويجب أن تسوى الآن لأن ذلك لايتعلق بنفسه هو أو والديه أنفسهما بل يتعلق بسعادة عديد الملايين من رعاياه »

ولقد كان أمر اصراره على عدم الزواج سراً خفيا ، وحاول الكثيرون معرفته وترددت اشاعات وأقاويل وهذا الامر جد دقيق فكنت إذا أردت جرح شعوره حتى تثير غضبه ، فما عليك إلا أن تسأله « لم لم تتزوج إلى الآن ؟ » وظن البعض انه يكره النساء ولكن الواقع انه مغرم بصحبة السيدات والفتيات الجميلات . ولكن الواقع والحقيقة التى لا ريب فيها أن طبيعته تأبى عليه زواجا رسميا وألا يسمح له بالزواج إذا أحب ، ومتى أحب تزوج مهما كانت العقبات (وقد حدث فعلا إذ أحب مسز سمبسون)

تطلع هو وأصدقاؤه فى أنحاء أوربا فاذا بجماعة فتيات جديرات بالانتخاب ، ورغم المحاولات العائلية ، كان له رأيه الخاص . ووجد حل واحد ولو أنه ذو صعوبة على الملك لا يستطاع تنفيذه « إنه من المستحب لدى الشعب البريطانى ، بل ومما يسعد جميع الناطقين باللغة الانجليزية والشعب يرغب فيه بكل الحاح ، ولا يرغب بديلا غير ذلك ، أن يرى مليكه مقترنا بفتاة انجليزية ويعتقد كل الاعتقاد أن بين نبيلات البلاد الارستقراطيات من تستحق عن جدارة وبكل وقار أن تكون ملكة بريطانيا المقبلة »

ولقد قاوم كل محاولات لارغامه على الزواج ، فكان يرحل إلى الخارج هربا من تساؤل المتسائلين

ووساطة الآخرين ، إذ يرغب فى أن يكون هذا الموضوع فى عداد النسيان . وفى إبان رحلاته الأولى ، وكان فى مستهل رجولته ، كان موضع الاشاعات والاقاويل أينما حط رحاله . سواء أ كان فى ايطاليا أم فى أمريكا

ولقد رددت الصحف الامريكية دون سواها هذا الموضوع منذ رحلته إلى الدنيا الجديدة ، حتى دارت الايام دورتها وتزوج شقيقه دوق كنت ، فأ كثرت من الاشاعات

ويقول المقربون اليه أن « الزواج المتكافىء » لم يكن يوما ما محلا لاهتمام جدي لدى الملك إذ يعتقد اعتقاداً كلياً أن ذلك الوقت ، الذى كان تتخذ الامم أمر الزواج كمحاولة للتوازن الدولى قد مضى . أما الآن فلم تكن المحالفة لزواجه بأعظم قيمة من سائر المعاهدات . ثم يقولون أيضا انهم باستطاعتهم أن يذكروا دون مواربة أن الملك ليس فى حاجة إلى زواج لا يتصل بالحب والعاطفة

ويدافع بازيل مين عن نظريته هذه فى كتابه ، وهو فى الواقع يدافع عن زواج الملك المقبل من عامة الشعب ، (وقد صحت هذه النظرية عام ١٩٣٦) بقوله «ان بيت وندسور يوحى المحبة والاخلاص للنهاية لأمور شتى يتصف بها أفراده ، فلا يؤثر فى محبته أى زواج أو يقلل من هيبته . واستدل على زواج دوق يورك « جورج السادس الآن » من خارج نطاق الدائرة الملكية وذكر بعض أمثلة من زواج أميرات برجال عامة الشعب ثم استدل على أن العائلة المالكة تسير فى مجري منحدر الى الاوساط الشعبية وبالاختصار فهو لا يميل الى اتباع التقاليد المرعية فى هذه الاحوال وهذا كان محل اعتراض شديد من المستر بلدوين المحافظ على التقاليد المرعية

ويظهر لنا جليا من أقوال بازيل مين أنه من أنصار زواج الملك من عامة الشعب وبين الفرق بين تقاليد القرون السابقة وبين تقاليد عام سنة ١٩٣٦ » وهو عام تأليف كتابه كما أسلفت» عام الديمقراطية الصحيحة ، وبما انه كان من مرافقيه فنلاحظ بين تضاعيف سطور كتابته نظرة الملك الصحيحة الى الزواج ، الامر الذى تم فعلا فى ديسمبر سنة ١٩٣٦ « أى بعد الأنتهاء من هذه الكتابة التى دونها بأشهر قليلة » . ثم دافع عن هذا الزواج من الوجهة الدينية من أنه لايمنع أن يتزوج الملك من تعتقد على غير اعتقاده المذهبي ، وضرب أمثلة عديدة من أن أحد ملوك بيت كوبرج صار كاثوليكيا ليتزوج ملكة البرتغال ، كما أن الزواج كان يقصد منه تحطيم المحالفات العسكرية دون التفات الى الدين وأ كبر برهان على ذلك هو زواج ابنة عم الملكة فكتوريا البروتستنتية بملك سردينيا الكاثوليكى

ويحسن بنا أن نذكر مسجلين تلك العقيدة التى سادت فى بريطانيا حقبا طويلة . وكانت الايام

كفيلة بصحتها وهى « ان أميرويلس الاعزب الذى له أخ أصغر منه ذو زوج وأطفال لن يعتلى العرش أو يمكث عليه ، إذ أن دوق يورك سينهج منهاج والده جورج الخامس ، معتليا عرشه ، بل ويعتقد البعض أن الملك لن يتزوج » ويظهر أن الكتاب جميعهم قد صحت نظريتهم فى كل شىء عدا هذه العقيدة ، فقد نددوا بالذين يؤمنون بهذه الخرافة وذكروا لهم أن الملك قد اعتلى العرش ولـكن لو دري بازيل مين أن العقيدة ستتحقق قبل أن يجف مداد كتابه لما أجهد نفسه بالشماتة فى المؤمنين بها .

ولقد أظهرت الايام الماضية أن الملـكة مارى كانت من المؤمنين بهذه العقيدة أيضا وهـذا يعلل سبب اهتمامها بأمر تربية ابنة دوق يورك الـكبرى والآن ولية العهد اليصابات

عطفه على العمال

الآن وقد انتهينا من أمر زواجه نعرج على أمر مهم له خطورته . وهو عطف الملك على الحركة الاشتراكية وحبه لمساعدة العمال ، الامر الذى أغضب أصحاب رؤوس الأموال البريطانيين ولقد ذكرت الصحف أموراًوقت حدوث التجربة المعروفة ، فنهاما ذكرت ان أمر الزواج لم يكن السبب المباشر لنزوله بل اتخذت ستارا فقط تخفى وراءها الحقائق المؤلمة . وأنها حملته دبرها الرأسماليون لان الملك ادوارد الثامن منذ شبابه يعتقد اعتقادا راسخا أن العمال فى حاجة إلى رعايته . ويظهر لنا هذا الاعتقاد بكل وضوح لو راجعنا دفاع بازيل مين عن نظرية الملك هذه إذ يقول بعد أن تكلم عن حالة اليأس والقنوط الشاملين نفوس العمال العاطلين وبعد أن حمل حملة شعواء على أولئك الذين كانوا يقفون حجر عثرة فى طريق الملك واظهار عطفه على هؤلاء البؤساء « يجب أن نقدس كل قبس من الضوء ينير هذه الحياة المليئة بالمآسى . وما الملك الا هذا القبس اذ يقول دائما أن لاولئك العاطلين واجبا مقدساً فى عنقه لا يستريح حتى براهم سعداء »

ولقد تضمنت كل خطبة تشجيعا لهؤلاء العمال وحثا للاغنياء وأصحاب رؤوس الاموال أن ينزلوا قليلا عن ثرائهم لمساعدة أولئك البؤساء حيث خطب ابان تجواله بينهم « . . . يجب علينا جميعاً أن نؤدى الواجب حيال هؤلاء الذين يبحثون عن عمـل » إلى أن قال « هـذا هو الدين الذى علينا لهؤلاء الذين أوجدوا لنا نشوة الظفر فى الحروب ، فيجب أن لا ينسوا أو يهملوا حينما نـكون فى آمان وسعادة وحرية »

والواقع أن عطفه ليس على العمال وحدهم بل هو على كل فئة تحتاج إلى المساعدة كالمحاربين القدماء والذين شوهوا فى الحرب . وقد تضمنت خطبته المذكورة ذلك ، كما أنه كان يعمل على رفع

ظلم أصحاب الضياع والمزارع الواسعة عن كاهل الفلاح المسكين والعمل على رفاهيته . ويمكننا أن نفهم من خطبه العديدة انه كان يحارب عن عقيدة أولئك الذين يجمعون المال دون أن يشفقوا على البؤساء « فمن الخطأ أن نبنى المستقبل منفصلا انفصالا كليا عن الماضى ، يجب أن نفهم أن المال وجمعه معناهما الا كثار من المسئوليات »

لقد أمضى الأيام التى كانت بعد زواج دوق كنت متنقلا بين ربوع أماكن الصناعة والصناع إذ زار شركة الجرامافون وقضى خمس ساعات بين جدرانها ، كما زار درهام وفى ذلك يقول شيخ هذه الناحية المستر سمث « سألنى الأمير بكل الحاح عن الأساليب المفصلة التى نستعملها ونعالج بها البطالة وقد أخبرنى كما أخبر كل موظف أن نعمل على استخدام هؤلاء لأنهم دعامة كل شىء ، ومع أنه كان مصدقا قولى ، إلا أنه طلب الحقائق والأرقام »أليس هذا أ كبرعطف ؟ »

ولقد كان ينبث بين العمال ويحادثهم وينفرد بهم إذ عنـد بليشوب أوكلاند وقف بعض الوقت يحادث عشرين رجلا كانوا خالين من العمل والتحقوا بفضل مجهوداته وعطفه حيث قال لهم « أؤمل أن تسير الأحوال كما ترومون أيها الاخوان ، انكم تعملون حسنا لو عملتم مثل هذا العمـل ، ولو أنكم تستحقون أفضل » ولقد كانت لجولاته رنة ردد صـدأها مجلس العموم واستبشر بها نواب الشباب

وما فتىء يردد قوله من آن لآخر « . . . إلى المدارس والأبنية التى يقام فيها القداس عنـدما يكونون أطفالا ، والمستشفيات التى فيها يعالجون عند مرضهم » إلى أن قال « نحن اليوم لا نعيش فى العصر الفكتورى أو الادواردى ، إنما نحن نعيش ، بتأثير نتائج الحرب العالمية ، فى عالم أ كثر تعاونا والمـال الآن موزع فى جميع أنحاء المملكة خير مما مضى ، ونحن الآن ، الصانع والتاجر ، نتعاون فى تكوين المجتمع »

ولقد عمل على تكوين هيئات لبناء أمكنة واصلاح الحى الشرقى « ليدز هوسـنج ترست لميتد » من رئيس أساقفة يورك ، ورئيس الكنيسة الكاثوليكية ولورد مونبهام ولورد هاليفاكس كما افتتح مشروع البناء « ر . إ . ساسون هوس » فى طريق سانت مريا - بكهام . ولقد نشطت تلك الحركات المباركة حتى أنتجت الى ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٣٤ ما يوازى ما عمل منذ ستين سنة من اعداد بناء خمسين الف بناء وفى ذلك يقول سير صموئيل هور الوزير «انها حقاً لفرصة طيبة لأولئك المخلصين والمحسنين الذين يرغبون فى تجديد تلك الأزقة »

ويعوزنا الكثير كما يقول « بازيلمين » لتعداد الاصلاحات التى كان يعملها فى سبيل راحـة الطبقة العاملة والفقيرة . حتى كان حقا جارا طيبا ومحاميا مخلصا لهؤلاء

وأما عطفه على الفلاح فيتمثل فى اصلاح وسعادة سكان دوقيه كرنوول . يزور المزارعين ويعمل على اصلاح بيوتهم ومحاربة العقيدة الراسخة لدى الملاك أنه لا فائدة من تهيئة الحمام للفلاح ما دام يستعمله مخزنا للفحم

ولقد كان مزارعا مجتهدا . يصدر الماشية ويبيع الزهور فى أسواق لندن . حتى الملكة ماري بحثت عن نوع من الزهور نادر الوجود . فلم يكن الا فى مزرعته . ومع كل لم يكن يوما ما رجلا ماليا بمعنى الكلمة وقبل أن نختتم هذا البحث يحسن أن نبين ان الملك ادوارد الثامن يبغض الحكم الدكتاتوري ويميل الى أن يرفع الحواجز التى بين الملكية ورعيتها وهو يكره الحروب ويبغضها لأنها كما يقول تترك من المآسى والذكريات المؤلمة أشدها . كما أنه يرغب فى تدعيم عصبة الامم على حالة من المساواة غير ما هى عليه وكل هذا يتمثل فى خطبه التى ألقاها ابان رحلاته العديدة من خطبة سدنى فى ١٦ يونية سنة ١٩٢٠ الى خطبة العرش التى ألقاها يوم ٢١ يناير سنة ١٩٣٦

ويقول بازيل مين عن رحلاته بعد اليوبيل الفضى لوالده عام ١٩٣٥ . أنه حين بعد ذلك الى الرحيل ثانية فذهب الى أواسط أوربا فبعد ان أقام فى اسبانيا عدة أسابيع ذهب الى بودابست وفرح المجريون لزيارته . ولقد كانت رحلاته بين ربوع القارة الاوربية دراسية محضة فى جميع الشئون وخاصة السياسية . ابان اشتداد الازمة الدولية . فلما رجع الى انجلترا كان على معرفة تامة بجميع المشكلات القائمة . وفى أثناء الاسابيع الأخيرة « يتكلم المؤلف عن أول يناير سنة ١٩٣٦» استمر على منهاج حياته السالفة . ولقد كنا ملازمين له . اللهم الا فى فترات عيد الميلاد . التى كان يقضيها كنمرود من عائلة ساندرنجهام ومن ثم يعود الى لندن فنقضى الاوقات فى فرح ومرور متنقلين بين المسارح ودور السينما . حتى تلقى النبأ المحزن . حيث مات الملك . فاحتجب عنا

وفى هذه المحنة المحزنة فى ٢١ يناير سنة ١٩٣٦ . سمعنا بتوليه العرش ومن ثم خطبته . ولقد كانت رغبته أن يعمل على تشجيع الصداقة الانجليزية الالمانية

هذا هو مجمل تاريخ دوق وندسون الآن حتى حدثت التجربة المعروفة . وفى هذا التاريخ العبر العظات . وقد انكشف امامنا كل ما كان بعيدا عن الحقيقة . استقيناه من أوثق المصادر التى يعول على صحة كتابتها وبعدها عن التهويل والتضليل

البيت و العالم

قصة اجتماعية للفيلسوف الشاعر الكبير « رابندرانات طاغور »

... أما أنا فى قراءتى لهذا الكتاب تركت العالم وجعلت من نفسى عالماً آخر ، ولكن ما الذى دعانى إلى ذلك ؟ سؤال خامرنى — كثيراً — الجواب عليه . وكان فى الجواب شىء غير قليل من المغالطة ناتج احيانا من فلسفة الشباب وحدته ، وتارة من قصور الفكر لفهم آراء الفلاسفة العميقة . كان يتبادر إلى ذهنى أن أسائل نفسى لم أدع العالم الرحيب وفيه ما أريد من كتب شتى ، وفلسفات مختلفة ، ومخلوقات جمة لا عدد لها كان يمكننى ان أجد لديها ما أبتغى ثم أمضى إلى عالم صغير يضم شيئا قليلا من المعانى والأشكال ؟ هذه رعونة وحمق ! وفهم خاطىء لكنه الكون ، وهيولى الحياة ، ثم أرجع الى نفسى باللوم وأقول : يالى من جاهل أدع الحقائق واللباب واذهب أستمسك بالخيال والقشور ، دارساً بعض ما فى هذا العالم الصغير من حقائق صغيرة ، كما أنى أ كرر رجوعى الى نفسى لأناقشها الحساب ، ولم هى تنعت الكتب بعالم صغير وهذا المعمور الفسيح بعالم كبير ؟ ! أفليس الصغير نتاج الكبير والكبير نتاج الصغير ! وهذه هى السنة التى اختطها الله ليسير عليها الخلق ، فاذا كان كذلك فلا غرابة أن أترك العالم الى عوالم أخرى !

أتدرى ؟ لم تركت العالم أثناء قراءتى لهذا الكتاب ؟ تركته لأدرس سفراً خالداً يتحدث عن عالمين خطيرين كل منهما وليد الآخر ولا يكمل الا بقرينه ، يتحدث عن عالمى : « اللانهائى الكبير » الذى تركته وعن عالم آخر هو « البيت » فمن هذا تكون العالم ، ولولا العالم لما وجد البيت ولما كان له شأن يذكر

* * *

يملكنى الشك كثيراً إذا درست فيلسوفا وربما يتعدى الشك الى الانكار ، ويستولى على البغض للفلاسفة والكاتبين ، وأنا أشك فى عظمتهم وأنكر فلسفتهم وأحب أن أدرس الحياة على حقيقتها فى ضوء الحرية والنور ، لا على الكتب وبطون المجلدات فى أضواء السطور ، لذا أجد فى الاتصال بالناس والمحسوسات ، أما أولئك الذين يدعون أنهم يتعمقون فى أسرار الكون وهم فى عقر دورهم فهم كاذبون ، وأنا أوافقهم اذا أرادوا بالكون هذه الجدر التى تحيط بهم فهم درسوا — حقيقة — ما فيه وتعمقوا فى أسراره ، ولكن أي فيلسوف نعنى به فى جملتنا هذه ؟

فعنى به ذلك الذى لا يعرف من الفلسفة الا التضليل والهراء ، ولا يتكلم — بل لا يقدر على التكلم — عن الحياة وأسرار الطبيعة وما فى الكون فيذهب يعبث بالتكلم على هامش الحياة ويكتفى منها بالاعراض والظواهر . أما أولئك الفلاسفة الذين سموا بفلسفتهم إلى سماء بعيدة من الرفعة كافلاطون والغزالى وابن رشد فبيوتهم لانهائية غير محدودة تتقمص الكون ،وما بيوتهم إلا هذا العالم اللانهائى ، وفيلسوفنا طاغور من هـذا الطراز ، ليس من ذلك النوع الذى درس ما فى الكون فى عقر داره ، وجعل نفسه حبيسة جداره ، بل انطلق فى الغابات الفسيحة يتأمل عظمة الله وقوته الماثلتين فيها وشاهد القوة الالهية فقعد ثمة يتلو صلواته وتسبيحاته وأخـذ فى ترتيل أوراده وأناشيده وأطلق فى السماء مزاميره المشجية تصعد إلى عالم غير محدود ، يحملها الاثير اليه ، حتى صار روحيا بحتا ، ثم مضى راحلا إلى أقطار الارض يجوبها حتى يشهد صنع الله وابداعه فيتعمق فى الاعتقاد ويسترسل فى العبادة ويمعن فى الخضوع حتى وصـل به الطواف الى « أوربا » صاحبة السيادة والنفوذ، والقوه والسيطرة، ورأى بها المدينة التى تتسم بالجديدة والتى ينعتها العقلاء بالحضارة المادية وخصها خص حكيم خبير ، ثم آب وهو ساخط ثائر كثير التفكير ، مشغول الخاطر ،ينظر الى الانسانية والى مصيرها فيجد فى نظراتها أمارات التوسل خشية أن تهلك ، فيغرق فى ثورته على تلك الحضارة المادية التى أنبتتها « أوربا » وكلما سمح الوقت لطاغور يتصل بالنفوس يختبرها والحياة يبتليها وهو فى كل ذلك موفق حد التوفيق . لا يضل ولا يشط

وطاغور يمكنك أن تعرف مذهبه فى الحياة ونظره اليها بتطبيق قول الاستاذ والشاعر عباس محمود العقاد إذ يقول :

زاهد الهند نعى الدنيا وصام أنا أنعاها ولكن لا أصوم
طامع الغرب رعى الدنيا وهام أنا أرعاها ولكن لا أهيم !
من كل هذين لنا حد قوام وليلم من كل حزب من يلوم

ويجب عليك أن تلاحظ فى طاغور صفة بارزة وهى التغلغل فى الاشياء التى يبحث فيها والتعمق فى فلسفته ، ويجب عليك أن تلاحظ أن تغلغله وتعمقه لا يرتكزان على الغموض والاغراب ، وفلسفته ليست معقدة متعبة ، بل هى مقرونة دائما بالبساطة والوداعة كما انها واضحة لذيذة لاتصالها بالطبيعة اتصالا وثيقا ، واذا بلوت نفسيته وفكرت فيما يكتب ألفيته يميل الى الراحة والهدوء ، وألفيت نفسه ثائرة ولكن لاتسمع صخبا وضجيجا ، بل تجد فى ثورته كل معانى الدعة والحبور . وليس غريبا منه اذا رأيته داعية من دعاة السلام يريد من المجتمع الانسانى أن ينسبوا الى وطن واحد ، وألا تكون ثمة فوارق وصبغات وطنية ، فالارض كلها وطن الانسان . ومن تقسيمها الى

أقاليم تمخضت العصبيات والحروب ، والمناوأة والعداء ، وتعددت المذاهب والاديان ، ففى البلد الواحد تجد الاسلام حيث النصرانية تأخذ محلها وحيث اليهودية تبدأ تبرز الى الوجود ، ولو اعتنق الناس الدين الذى يمشى مع حياتهم وبواعثها ويضمن لهم سعادة الحياة لكانوا كلهم تظهر عليهم سمة « التوحيد » ولو عدمت الاحزاب ولم توجد المذاهب المتعددة لرأيت البشر فى خير شامل عميم ، ولو نظر الناس الى الانسانية نظرة انسانية والى المجتمع نظرة اجتماعية لما رأيت فى الحياة سوى السلام يسود

وهاتان النظرتان مؤتلفتان جد الائتلاف ، اذ الانسان لا يرفع له وزن ما لم يكن المجتمع ، والمجتمع نتيجة لائتلاف الناس والتكوين منهم جمعية انسانية تسمو بسموها الحياة وتنحط بانحطاطها فالاول نظرة عميقة نحو الحياة من الناحية السامية ، والحب فيها اول ما تتطلبه ، وتبادل المنافع العامة المشتركة غايتها ، اذ الانسان لا يحب لنفسه الا كل خير وسعادة ، فاذا انعكس هذا الحب فى النفوس واحتل مكانه كل قلب انسانى كان من المحتم ان يكون حبيبا له الخير بغيضاً اليه الشر ، وهو انانى اثر ، فاذا كانت الانانية الممقوتة والاثرة الخبيثة مفقودتين من نفسه فنظرته حينذاك تكون انسانية نبيلة ، وهى من دأبها الحكم على الموجودات حكما انسانيا نبيلا ، أما النظرة الاجتماعية فنظرة تبادل شعور واحساس مقدسين مع اخوانه أفضل التقديس لابد أن يسود سلام شامل ، ولا نسمع للمشاكل التى تحدث بين الامم لأتفه الاسباب وأحقر الحوادث صوتا داويا يتأثر منه العالم

هذه فلسفة طاغور ، وليس غريبا أن تتوجه فلسفته نحو السلام فقد أثرت فى نفسه النباتات التى يكثر من تناولها ، والفواكه الناضجة التى يستلذها ، كما أن البقعة التى يعيش فيها بقعة ذات هواء لطيف ، وكما أن غابات الهند الرهيبة ونهر البنغال الرطيب ، كان لهما أثر بالغ فى نفسه فنشأ ذلك الفيلسوف الوديع الهادىء

أما أدب فيلسوف الهند فهو أدب عميق روحانى ، يتصل بالنفس من الجهة الروحية السامية ، ويعبر عنها تعبيرا روحيا يري ان اندماجه فى الكون المثل الأعلى للحياة ، إذ الكون تسمو حياته ولا نهاية لها ، أما الانسان فالحياة فيه محدودة ، فالجزء الذى هو عبارة عن « الانسان » إذا اندمج فى الكل الذى هو عبارة عن « الكون » يكون السير منتظما ، وهنالك تتمتع النفس البشرية بحياة كلها مثل عليا . إذ باندماجها فى الكون واتحادها مع الكل تضمن لنفسها السعادة والبقاء ، وبالائتلاف مع اللانهاية تنال السلام الأبدى ، وهذا هو الغاية التى تجد الانسانية فى السير لبلوغها ، وتدأب فى قطع الطريق اليها

لذا نرى أدب الهند أدبا يتصل بالطبيعة اتصالا وثيقا ، فالقارىء لكتاب « ريج فيدا » يشعر بالبساطة فيلفى نفسه بسيطة مألوفة تناجي إلهتها مناجاة المتصوف ، وتهزج بأنشودة الاعتراف بالألوهية لا تكلف ولا إغراب ، وأقل ما يجده القارىء فى هذا الكتاب هزات فى نبضات القلب تنكشف لها الحقائق واضحة جلية ، وليست هذه الهزات هزات روع ووجل . إنما شعور سام واحساس دقيق . وهذا الكتاب أناشيد دينية تتجاوز الألف وكلها من نمط الشعر العالى. وحسبك ان معنى الـ « ريج فيدا » هو « تقديس الأمور المقدسة وأطراؤها »

وال « سادهانا » . « اثبات هيولى الحياة » محاضرات ألقيت فى البنغال وبعضها فى جامعة هارفارد الاميركية وبعضها بأوربا . يتجه الفكر فيها الى نواحى الحياة الكثيرة من تقرير النظريات واثبات البراهين والتكلم على . الحب والجمال ، والخير والشر ، والانسان والكون ، وغير ذلك من حيث احساس النفس بها وشعورها بالحياة معضداً آراءه بعبارات مقتبسة من كتاب مقدس من كتب الهند المقدسة القديمة (اليوبانيشاد) ويذهب فى تعضيدها مذهبا خاصا مع حل ألغاز الفلسفة الهندية — إذا صح ان بالفلسفة الهندية ألغازا — حلا سهلا

والفيلسوف الهندى فى تكلمه عن الكون والانسان ، والخير والشر ، والسعادة والشقاء ، والحب والجمال ، ناسك متصوف ، متورع زاهد ، ولكن هذا لا يمنعه من أن ينظر اليها نظرة عصرية حادة تشف له عما وراء المادة كما تظهر أمام ناظريه الروحية المحتة

هذه كلمتنا عن طاغور. فلسفته وأدبه أوحتها الينا قراءتنا لكتابه : « البيت والعالم » وكنت قد قرأته قبل سنة ونصف سنة قراءة طالب لم يعد فهمه ظواهر الأشياء الملموسة ، وقرأته قبل سنة فى لغة طاغور مع بعض أصدقائى الذين لهم اتصال جد وثيق واطلاع كبير على الأدب الهندى الرائع وسمعناه يتحدث الينا فاه الى أفواهنا فى بشر وانشراح عن الحياة وما فيها من الموجودات ، كما وجدناه فى أناشيده يهزج بها هزجا مبدعا سكن فى الآذان موسيقاه ، حتى اننا كلما تذكرناه شعرنا برقة تلك النغمات المعسولة فى أسماعنا ، والآن قرأته تحت سماء « ألطائف » الصافية المجلوة فى لغتى العربية معربا بقلم الروائى المبدع الاستاذ طانيوس عبده فوددت أن أكتب عن طاغور وعن الكتاب حتى أكون بذلك مؤديا بعض ما للأدب العربى والادباء من واجب ، وليطلع الكتاب على فلسفته الرائعة وأدبه السامى

* * *

« البيت والعالم »

تجد فيه صراعا عنيفا قائما بين العقل والعاطفة . والخير والشر ، والقديم والحديث ، وبين تقاليد

الهند — حسنها وقبيحها — التى ورثتها عن الاسلاف وبين تقاليـد أوربا ، وبين البيت الذى فيه النساء محتجبات لا يعرفن الحياة الخارجية وما هو خارج عن دورهن حتى ألفن هـذا الجو والسجن وفضلنه عن الحرية ، وبين البيت الحـديث وما فيه من سفور وحرية . وكانت هـذه الامور تسير سيراً طبيعياً . فلم ينهزم مبدأ أمام مبدأ ، انما انتصر كل ما له علاقة بالعصرية وصلة بالجديد انتصارا طيبا . فثقفوا الهند محافظون مقلدون . محافظون على عوائدهم الدينية وغيرها ، مقلدون للأمم الغربية فى مصالحهم وما يرقى بهم فى حياتهم ، وبالجملة حافظوا على الدين وقلدوا فى أمور الدنيا ، وأنعم بمفكر كهذا لا يتعصب لمذهب ، ولا يرفض كل رأى إلا بعـد فحصه ونقده والوثوق منه ، واليك حديثا جاء فى كتاب « البيت والعالم » بين السيدة « بيمالا » تتحـدث الى زوجها « الراجانيـكهل » يدلك على عمق ما جاء فى الـكتاب

قالت السيدة « بيمالا » : « فلما لفحتنى هذه المبادىء الوطنية بنارها قلت لزوجى : انى أريد أن أحرق جميع ما عندى من الملابس الاوربية

قال : لماذا تحرقينها وأنت تستطيعين أن لا تلبسيها

— انى لا ألبسها وأنا فى قيد الحياة

— لا تلبسيها ، ولـكن أية فائدة من احراقها

— لماذا تحاول منعى عما أريد

— وأنت لماذا لا تبنين بدلا من أن تخربى

— ان الاندفاع فى التخريب يثير همتنا فى البناء

— انك كمن يقول : لا أستطيع انارة البيت إلا اذا أضرمت فى جوانبه النار (١)

واليك أنشودة للفيلسوف الا كبر شاعر الهند العظيم طاغور يخاطب فيها تينة وقعت على شاطىء النهر ، وقع اختيارنا لها لأنها تمثل البساطة والوداعة وتنضج سلالة وعذوبة ، وفى الوقت نفسه تدل على خصب الشاعرية وعمق التفـكير والجمال الفنى

وعنوان الانشودة

تينـة (٢)

ما الذى يدعوك للوقوف على سيف الجدول ؟ .

* * *

أين الطفل الغرير ؟ ! ...

(١) من تعريب الاستاذ طانيوس عبده (٢) من تعريب كاتب هذا المقال

إنك شغلت عنه بالجدول الصخاب ، كما شغلت عن آنساتك الطيور . التى قطنت أغصانك اللدنة الفينانة ، ثم مضت عنك كالسحاب ...

« * »

بن الطفل الغرير ؟ ! ...

يا طالما لبث يطيل النظر من نافذته صادرا من جذورك التى غادرت فى جوف الارض اذكريه ! اذكريه !

* * *

والآن ، قد ترفقت فرميت ظلك على الماء

والنسوة القرويات أقبلن بالجرار ليملأنها

وذكاء الوحيمة بعثت ضوءها الذهبى اللامع على صفحة الجدول الورقاء

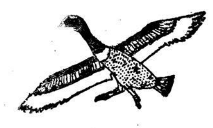
وثمة على الحافة الشائكة سبحت وزتان جميلتان ، والطفل الغرير هادىء يتأمل أديم النهير البراق

* * *

ودّ الطفل لو ينقلب فؤاده نسمة حلوة تقبل أغصانك الطرية . ! وظلك الدائم طيلة اليوم على وجه الماء ، ويصير الطائر الغريد . يصعد الي قمتك العالية يعشش فيها ، وأن يكون تينك الاوزتين اللتين تسبحان فى الماء ، وتستلذان بمنظر السماء . ! يحفهما الشوك ويلبسهما الظل الرحيب

ليته كل هذا . ! ! ليته . ! !

القاهرة أحمد عبد الغفور عطار



التليباثية وهل هي حقيقة

التليباثية أو تبادل الخواطر ، أو الشعور مع الغير عن بعد ، هو ذلك البحث الطريف على الدوام فمنذ الأجيال الأولى والناس لايكفون عن ممارسته والسعي لاستدراك كنهه ، وهم يحاولون اليوم وضعه على أسس علمية صحيحة تجعله بعيداً عن شبهة الشك والارتياب

وقد توصل فعلا بعض العلماء المستنيرين الذين أرصدوا أنفسهم لاماطة اللثام عن حقيقة هذا الموضوع ، إلى قاعدة رياضية لايتطرق اليها الشك من احدى النواحي

ومن هؤلاء الافذاذ الذين شغفوا بالتليباثية وقطعوا فى بحثها شوطا بعيدا ، الاستاذ ارنست هنت رايت . أحد مشاهير العلماء فى أمريكا فقد ذكر من التجارب التى قام بها ، انه جلس مرة عند طرف المائدة بينما جلست احدى السيدات عند الطرف الآخر وكان بينهما فوق المائدة حاجز خشبي عريض مرتفع بحيث يحول دون رؤية أحدهما الآخر . وكان أمام الأستاذ « رايت » مجموعة من أوراق اللعب « كوتشينة » مؤلفة من خمس وعشرين ورقة وجهها الى أسفل . وعند سؤاله السيدة عن هذه الأوراق ذكرتها ورقة ورقة كما لو كانت مبسوطة أمام عينيها

ثم أخذ الاستاذ الأوراق المذكورة وخلفها بعضها « فنطها » ثم وضعها أمامه على المائدة وطلب من السيدة أن تذكرها له فذكرتها دون أن تخطىء فى واحدة منها

وأعاد الاستاذ هذه العملية عشرين مرة وأجابته السيدة فى كل منها دون أن تخطىء ، بل وبسرعة فائقة حتى ان كل هذه التجارب لم تستغرق أكثر من نصف ساعة

وهذا العمل وان بدا غريبا فى نظر الانسان العادى ، إلا أنه فى الواقع لايدهش الشخص الذى مارس العناية ببعض هذه التجارب وتدرب عليها

وحتى نستطيع الوصول الى نتيجة إيجابية تتفق مع آراء هؤلاء العلماء يجب على المرء أن ينظر إلى الموضوع نظرة نزيهة غير مشوبة بالتحامل أو سوء التقدير . وليس معنى هذا أن نؤمن مقدما بصحة النظرية ، بل بالعكس ، فلنكن مرتابين فيها جهد طاقتنا ، ولكن علينا فى نفس الوقت أن نفتح عقولنا ونجعلها مستعدة لقبول الحقيقة متى ظهرت أمامنا . ولا يجب أن تحول الغرابة البادية فى هذه الحقيقة عن خضوعنا لها والايمان بها

اننا نستطيع أن نري العالم الذى نعيش فيه ، ونسمعه ونلمسه ونتذوقه ونشمه ، وذلك بواسطة حواسنا الخمس ، وليس لدينا طريقة أخرى لذلك سوي هذه الحواس ، فاذا فقدناها لم يعد ثم فرق

بيننا وبين الجماد . اذ نكون وقتئذ محرومين من الشعور وحاسة التنبه . فيصبح شأننا فى ذلك شأن الحجر الأصم الذى لا يحس ولا يعى

وقد أدرك البشر من تجارب القرون العديدة والأحقاب التى مرّ بها أن كل ماتعيه عقولنا قد مر أولا بحواسنا الخمس والتى لا طريق سواها لأفهامنا . وجميع المواد الأولية للمعرفة تأتى عن طريق هذه الحواس إلى عقولنا فتعطيها الصورة التى تلائمها

ان هناك فريقا كبيرا من الناس يقولون لنا أنهم حلموا أحلاما تحققت . سواء كان تحقيقها هذا فى الماضى أو فى الحاضر أم فى المستقبل . وقد سمعنا حكايات كثيرة عن قراءة الافكار . فى التعثر على المائدة والكتابة بيد غير منظورة ، « والشفاء بقوة الايمان » فيدخل فى روعنا أن هذه الأشياء نوع من المعجزات التى حفل بها التاريخ والأساطير . وانها خارجة عن نطاق الحواس الخمس ولكن هذا الظن خطأ محض . وانا نعود فنقول ان حواسنا هى الطريق الوحيد لكل هذا

واذا كنا رفعنا هذه الأمور إلى حد المعجزات ، فانما فعلنا ذلك لأنها تختلف عن الاعمال التى نمارسها كل يوم والتى اعتدنا أن نقوم بها من وقت لآخر

ويحسن أن نذكر هنا أن بعض العلماء الذين يشار اليهم بالبنان قاموا فى القرن الماضى بأبحاث دقيقة فى بعض الحوادث فكانوا يخرجون منها أحيانا معتقدين أن بينها مالم يتوصل العلم بعد إلى ادراك كنهها . ولذلك لا يمكن البت فيها بصفة قاطعة

بيد أن هناك أمورا نرويها لايمكن أن يتسرب اليها الشك اذ هى قائمة على حقيقة ثابتة هى نتيجة اختبارات طويلة . ان تكن بسيطة فهى من جهة أخرى علمية بحته . والغرض منها معرفة ما اذا كان هناك ادراك يأتى عن طريق خلاف الحواس . أو بكلمة أخرى . إدراك فوق الطبيعى

وانا سنورد فيما يلى النتائج التى اسفرت منها عشرات آلاف الاختبارات التى أجريت لايضاح هذه المسألة . ولكن مما يجدر بنا ذكره الآن هو أن العلماء الذين قاموا بهذه الاختبارات أصبحوا يوقنون بصحة التليباثية ومعرفة الغيب . وقد زالت شكوكهم عن قيمتها . اذ رأوا انه قد توافرت لديهم الأدلة العلمية الكافية لتأييدها . وهذه الأدلة على متانتها بسيطة إلى حد أن شخصا عاميا على جانب من الذكاء يستطيع تفهمها

ومع ذلك فانا قبل الادلاء بهذه الأدلة سنورد أمورا تمهيدية لا نرى مناصا من ذكرها لايضاح الطريق وللاهتداء بها عند الحاجة

كلنا نعلم ماذا يحدث اذا تناولنا قرشا مثلا وألقيناه فى الفضاء ثم أخذنا نتكهن عن كيفية

سقوطه . ان هذا القرش سيسقط طبعا على أحد وجهيه فتكهناتنا من كيفية سقوطه ستكون صادقة بنسبة ١ : ٢

فاذا ألقيناه مائة مرة فاننا سنصيب التقدير ٥٠ مرة ونخطىء بمقدار هـذا العـدد أيضا . وإن يكن من المحتمل فى مثل هـذا العـدد الصغير أن تزيد أخطاؤنا الى ٦٠ أو تنقص الى ٤٠ . أما اذا زاد العدد الى ٥٠ ألفا مثلا فان نسبة الصواب تكون مساوية فى الغالب لنسبة الخطأ . وهكذا تتساوي النسبة المئوية كلما ازداد عدد الرميات

وعلى ضوء هذه الأرقام نستطيع أن نتوصل بواسطة تعدد الاختبارات وزيادتها إلى نسبة مئوية أفضل . وقد تمكن أشخاص مشهود لهم بالأمانة والصدق إلى نسبة مدهشة ، وهؤلاء الأشخاص من العلماء السيكولوجيين الحائزين لشهرة عالمية لا تنازع

٢

منذ ست سنوات تقريباً شرع الاستاذ جوزيف بانكز راين « الأستاذ بجامعة ديوك » فى القيام بطائفة كبيرة من الاختبارات بنية العلم بصفة قاطعة مما اذا كان هناك حقيقة شيء اسمه التليباثية أو معرفة الغيب . ويعاونه فى اختباراته هذه الاستاذ وليم ماك دوجال أحد كبار الأساتذه فى هذه الجامعة . ويشترك معهما كذلك كثيرون من الأساتذة . وبعض المتقدمين من الطلبة

وقد مضى الآن ست سنوات وهم يقومون بهذه الاختبارات بدون انقطاع حتى لقد أربى عددها على المائة الف . وهذه التجارب هى الآن فى دورها النهائى ولن يمضى وقت طويل حتى تعلن نتيجتها للملأ

وهى تجارب بسيطة جداً يمكن ضبطها ومعرفة نتيجتها بدقة وذلك بواسطة مجموعة من الأوراق تشبه تماما أوراق اللعب (الكوتشينة) التى نتداولها أما باطنها فيختلف عنها تماما إذ ليس فيها شيء من رسوم الملوك والملكات « الكوبة والبستونى » بل ان خمسا منها تحمل رسم دائرة . وخمسا أخري تحمل رسم صليب . وخمسا أخرى رسم مستطيل . وعلى خمس أخرى رسم نجم . والخمس الأوراق الباقية رسمت عليها خطوط منكسرة أشبه بالأمواج

وكل شخص يقوم باحدى هذه الاختبارات عليه أن يعرف هذه الأوراق واحدة واحدة دون أن ينظر اليها . وحكم المصادفة فى هذه الحالة هو أن تصيب الحقيقة مرة فى كل خمس مرات . ولكن المطلوب هو أن يصيب أكثر مما تتيحه له المصادفة . ولسنا فى حاجة إلى القول أن خلط هذه الأوراق « تفنيطها » يجب أن يتم بين وقت وآخر

وتوجد طرق متعددة لعمل الاختبار . من ذلك ان يتولى أحد الشخصين المشتركين فى هذه العملية الاطلاع على الأوراق واحدة فواحدة سائلا فى نفس الوقت الشخص الآخر عن كل منهـا بالتوالى . وفى هذه الحالة يستطيع أن يعرف ما اذا كان لدى هذا الشخص موهبة التليبائية أم معرفة الغيب أو أنه متمتع بالموهبتين معاً . لأنه بينما يطلع الشخص الأول على الورقة من شأن الشخص الثانى أن يعرف الورقة إما « بقراءة » عقل زميله وإما « برؤية » الورقة فى نفس عقله هو . أو انه يستعين بالاثنين معاً

وهناك طريقة أخرى لعمل الاختبار . هى أن يقوم الشخص الأول « المختبر » برفع الأوراق دون أن يطلع عليها حتى يذكرها الشخص الثانى « الذى هو موضع الاختبار » . فاذا أفلح هذا فى تسميتها فانه يكون لديه فى هذه الحـالة موهبة معرفة الغيب إذ ليس هو ولا زميله قد اطلع على تلك الأوراق . وثم طريقة ثالثة أيضا وهى لا تستدعى أن يرفع الشخص الاول الاوراق أو يمد اليها يداً بل يطلب من الشخص الثانى أن يسميها ورقة ورقة بترتيب وضعها من أعلى إلى أسفل وهى فى مكانها على المائدة . وبالطبع يصير مراجعة ذلك على الاوراق بعد الفراغ من تسميتها . وهذه التجربة هى أيضا لمعرفة ما لدى الشخص من قوة معرفة الغيب

وتوجد طريقة رابعة تختلف عن الطرق الثلاث سالفة الذكر . وهى لا تحتاج إلى أوراق بتاتا بل يكفى فيها أن يتصور الشخص الاول « المختبر » ورقة من تلك الاوراق ثم يسأل عنها الشخص الثانى « الذى هو موضع الاختبار » . وفى هذه الحالة يكون الاختبار عبارة عن تليبائية محضة

وقد قام الاستاذ « راين » هو ومعاونوه بعشرات الآلاف من التجارب بهذه الطرق المختلفة . وقد استطاع الأشخاص الذين استخدمهم ليكونوا موضع الاختبار أن يصيبوا الغرض بعد زمن قصير بنسبة ٦ : ٢٥ . بل ان احد الطلبة فى جامعة ديوك واسمه لينابر استطاع أن يعرف ٢١ ورقة من ٤٥ فى حين انه لو اعتمد على المصادفة فقط لما أصاب أكثر من ٩ . وتمكن هذا ط لب مرة أخرى من معرفه ٢١ ورقة من ٢٥ . وكان بينها ١٥ ورقة متواليه

وهذه الارقام تدل صراحة على أن لادخل للمصادفة فى معرفة هذه الاوراق ولكن التليبائية ومعرفة الغيب هما العامل الاسامى فى ذلك

النهر المحبوس

يمكن أن نحبس مياه النهر الجارية بطريقتين . فقد نقيم بين شطيه سداً متعـدد الفوهات التى نفتحها ونقفلها برائد المنفعة لرى مثلا . أو قد نقيم على المياه الساقطة من الفوهات آلات لتوليد القوة الكهربائية التى نستعملها فى اضاءة المنازل وادارة المصانع وتسيير القطرات وحرث الارض ، وعندئذ يعود هذا السد مفيدا

ولكننا قد نقيم سداً صامتا يندفع اليه التيار فيرتد على نفسه وكأنه يضرب نفسه وهو ثائر هائج. ثم هو قد لا يطيق نفسه فيفيض على شطيه أو يهدمهما فيغرق ويتلف الوادى الخصيب على ضفتيه وهذا هو ما يحدث لنا نحن البشر . فما من شهوة فى أنفسنا إلا وهى قوة تحتـاج الى التنفيس . فاذا نفسنا عنها بنظام خرجت كما تخرج المياه من فوهات القناطر غايتها الخير والمنفعة . أما إذا حبسناها بسد صامت فانها تعود علينا بالضرر والتلف

فهذه سيدة قد غضبت من أحد الاشخاص هو زوجها أو ضرتها أو حماتها . وقامت فى نفسها شهوة الانتقام ولكنها حبستها . فهى وقت الشجار تضرب نفسها وتلطم خديها . أو هى تعود الى سريرها وقد انقلب التيار إلى جوفها فبطنها يهيض . أو لم تذكر اثنين يتشاجران بالكلام فقط فترتعش عضلات وجه أحدهما أو يده أو قدمه كأنه قد شل ؟

هذا هو التيار قد أقيم عليه سد صامت فهو يعود على نفسه فيضرب نفسه . وهـذا فتى قد حبس الشهوة الجنسية فهو ينفجر هنا وهناك كالمجنون أو كالنهر حين تنفجر شطوطه وتنبثق مياهه فتراه يتهور ويندفع أو ينفذ الى أبواب سيئة من الرذيلة تخفف قوة التيار مهمـا كان فيها من التدمير لشخصه ولمن حوله من الناس

فيجب لهذا الا نحبس تيار الشهوات بسدود صامتة . بل يجب ان نقيم فى هذه السدود القناطر التى تتيح لنا استخدام التيار لمنفعة صاحبها ولخدمة الهيئة الاجتماعية . هـذا اذا لم نستطع ترك التيار يسير فى مجراه بلا سدود

فاننا مثلا نشتهى السيطرة والتسلط . فاذا لم نستطعهما على الناس فليكن ذلك على الطبيعة بالعمل المجدي . ونحن نشتهى الجنس الآخر . فاذا لم يكن ذلك ممكنا فاننا يجب أن ننفس عن أنفسنا بما يقارب الحب الجنسى من ممارسة الفنون والصناعات الجميلة التى تجعلنا نشعر بالتفوق واللذة والرضا والنجاح . لأن فى معانى هذه الأشياء سيطرة مضمرة

وليست قوة النهر أعظم ولا أعنف فى نهايتها عقب حبسها من قوة الانسان . فان المياه بالمقابلة الى الشهوات جامدة هادئة . ولذلك نحن نؤذي أنفسنا بالحبس أكثر مما نتوهم . فقد يوضح لنا الزار عواقب حبس المرأة . ولكننا كلنا نمارس لونا مخففاً من الزار يبـدو فى تهورات جنونية مختلفة أساسها حبس الشهوات التى لا تجيز لنا التقاليد اطلاقها ولا تجد منا تنظيما للتنفيس المفيد عنها كما يجد تيار النهر سدا قد أقيمت عليه القناطر المفيدة

س . م .

من الأدب الانجليزي

الحلم

تأليف القصصي الانجليزي و . سومرست موجام

وترجمة الأستاذ محمد عبد اللطيف حسن

فى أغسطس عام ١٩١٧ م ، كنت ملزما بالسفر من نيويورك الى بتروغراد عن طريق فلاديفو ستوك . وقد وضعت رحالى هناك فى صباح ذات يوم قائظ وأمضيت كل يومى أجول بين أنحائها المختلفة ، وسبلها المتعددة ، فى تراخ زائد ، وخمول شديد

وكان علىّ أن أسافر فى نفس هذا اليوم فى القطار الذى يقوم من هناك حوالى الساعة التاسعة مساء ، ولذلك فضلت أن أتناول عشائى فى مطعم المحطة . ولسوء حظى وجدته مزدحماً بدرجة لم أعهدها فيه من قبل ، فاضطررت أن أشارك رجلا روسياً فى مائدته الصغيرة التى كانت لا تتسع لأكثر من اثنين

وكان هذا الرجل طويل الجسم ، بدينه وله بطن كبير منتفخ . ولهذا السبب كان يجلس بعيداً عن المائدة بمسافة قصيرة ! !

ومن الغريب أن يديه كانتا صغيرتين بالنسبة إلى جسمه الضخم ! أما شعره فكان طويلا براقا أسود اللون ، ومرتباً بعناية ونظام بين مفرقيه ليخفى بشعراته القليلة رأسه الأصلع الكبير !

وكان وجهه الشاحب الضخم بذقنه الكبيرة المزدوجة ، يبعث الرعب والهلع فى قلب كل من يراه لأول وهلة ! أما أنفه فكان صغيراً إلى حد أنك لا تكاد تتميزه فى صفحة وجهه المنتفخ الاوداج إلا بعد طول تأمل وبحث ! ومما زاد فى قبح هذا الوجه وبشاعته وجود دمل كبير أحمر اللون فى احد جوانب أنفه !

وكان لهذا الرجل عينان سوداوان صغيرتا الحجم . أما فمه فكان كبيراً أحمر اللون مما يدل على أنه رجل قاس ، شرس الطباع . وكان مرتديا بذلة قذرة سوداء . ومع أن هذه البذلة لم تكن ممزقة إلا أنها على ما أعتقد لم تنظف ولم تعرف المكواة منذ أن وضعها على جسمه الضخم لأول مرة

وكانت الخدمة فى هذا المطعم سيئة للغاية فى تلك الليلة ، حتى لقد كان من الصعب على الانسان أن يلفت اليه أنظار أحد الخدم الذين كانوا مشتتين بكثرة فى أرجاء المطعم

ولم نلبث - زميلي وأنا - أن بدأنا نتجاذب أطراف الحديث . ولحسن حظي وجدته يتكلم الانجليزية بسهولة وطلاقة كأحد أبنائها . ومع أن لهجته كانت تبدو متقطعة في بعض الأحايين ، إلا أنها لم تكن شاقة على أي حال بالنسبة لي

وفي أثناء حديثنا ألقى عليّ عدة أسئلة عن نفسي وعن خططي ، فكنت أجيبه تارة بصراحة ، وطوراً ببعض المواربة ، لأن طبيعة عملي كانت تحتم عليّ إذ ذاك أن أكون متكتما بقدر ما في استطاعتي . ولما أخبرته أنني صحافي فكر برهة ثم سألني قائلا :

— وهل تكتب قصصاً خيالية ياسيدي ؟

فلما أجبته أنني أفعل ذلك في بعض فراغي ابتسم ابتسامة ضعيفة ثم بدأ يتكلم بلباقة وحذق عن حياة أشهر القصصيين الروسيين ، ويصف لي أهم أعمالهم الادبية ومبلغ أهميتها ، فاستدللت من ذلك أنه على قسط وافر من الثقافة والمعرفة

وفي هذا الوقت أخرج من جيبه زجاجة صغيرة من العرق المسمى الفودكا ودعاني الى مشاركته فيها ولم أدر إذ ذاك ما إذا كانت الفودكا أم طبيعة الروسيين التي تميل الى الهذر والمجون ، هي التي جعلته يحدثني عن نفسه ويطلعني على أهم أسراره

فقد نشأ من أسرة روسية نبيلة ، ومارس المحاماة زمناً ، ولكن نشأت بينه وبين رجال الحكم في ذلك الوقت بعض متاعب ومناوشات حالت بينه وبين مزاولته لهذه المهنة في وطنه وجعلته كثير السفر والتجوال في الاقطار الاجنبية . وعلمت منه حينئذ أنه في طريقه الى مسقط رأسه . ولولا بعض أعمال ضرورية اضطرته الى المكث في فلاديفوستوك بضعة أيام ، لكان الآن كما قال لي في موسكو التي يحبها ويؤثرها على أي بلدة أخرى . . .

وبعد أن أتم صاحبي حديثه عن نفسه التفت نحوي ثم قال :

— هل أنت متزوج ياسيدي ؟

فاستغربت في الحقيقة لهذا السؤال الذي لم اكن أتوقع سماعه وقلت :

— نعم . .

فابتسم زميلي ابتسامة صفراء ثم تنهد قليلا وقال :

— لقد كنت متزوجا مثلك ياسيدي ، ولكن زوجتي توفيت منذ امد قريب . ولوأنها قصة عجيبة لا أجد مانعا من سردها عليك اذا سمحت لي بذلك . .

ودفعني الفضول والاستطلاع إلى سماع قصته فقلت :

— تفضل بسرد قصتك فكلي آذان صاغية . .

وتوقف صاحبي عن الكلام برهة كما لو كان يخشى أن يصرح بشيء لايجوز الافصاح عنه ثم اعتدل فى جلسته وقطب مابين حاجبيه قليلا وقال :

— كانت زوجتي سويسرية الاصل ، وقد ولدت فى نفسجنيف العاصمة . وزيادة على اتقانها اللغة الفرنسية ، وهى لغة بلادها الاصلية كما تعلم كانت تجيد الانجليزية ، والالمانية . والروسية والايطالية . ومن هذا يتبين لك انها كانت متعلمة تعليما راقيا . .

ونادى محدثى لخادم كان ماراً بجوارنا فى هذا الوقت وأظن أنه سأله — لأننى كنت لا أعرف الروسية إلا قليلا — عن الوقت الذى سيحضر لنا فيه طعامنا . فأكد له الخادم بانه سيذهب لاحضاره فى الحال

وبعد ذهاب الخادم التفت زميلى نحوى وقال بلهجة تهكمية مريرة :

— لقد أصبح الانتظار فى المطاعم — وبخاصة المزدحمة منها — من أثقل الاشياء على النفس ، ولاسيما منذ أن اشتعلت الثورة فى بلادنا .

ثم ضحك ضحكة هستيرية وقال بعد أن أشعل سجارته الحادية عشرة

— ولأعد الآن الى اتمام قصتى . .

ثم سكت لحظة استجمع فيها أفكاره المشتتة وقال :

— لقد كانت زوجتى امرأة عجيبة حقا . فقد كانت تدرس اللغات التى ذكرتها لك لبنات النبلاء فى إحدى المدارس الشهيرة فى بتروغراد . وقد عشنا ثلاث سنوات فى صفاء تام ، ووئام عظيم . ولكنها كانت للاسف امرأة غيورة بطبعها ، وهذا أمر بغيض الى النفس كما تعلم

وقد وجدت ان من الصعب على أن أطيل النظر فى وجهه لأنه كان من اقبح الوجوه التى رأيتها فى حياتى ، فكنت احول وجهى عنه مابين فترة واخرى

وبعد ان نفث صاحبي دخان سجارته تابع حديثه لى فقال :

— وأرجو الا تظن أننى كنت وفياً لها شغوفا بها ، لأنها لم تكن صغيرة السن حينما تزوجتها وكان ذلك قبل عشر سنوات على ما اذ كر . وكانت زوجتى — ولندع اسمها جانبا — نحيفة القوام ، هزيلة الجسم ، متوسطة الملاحة . أضف الى ذلك انها كانت ذات لسان حاد سليط ، ونفس خبيثة سيئة . ولم يكن يسرها مطلقا أن أنال استحسان احد إلا هى ، ولا ان احوز اعجاب انسان غيرها ولم تكن غيرتها هذه ناشئة عن النساء اللائى كنت اعرفهن فى تلك المدة فحسب ، بل لقد كانت تغار أيضا من أصدقائى الذين كنت أديم صحبتهم ، واحيانا من قطتى وكتبى ! وفى ذات يوم بلغت بها هذه الغيرة الحمقاء الى حد انها أعطت فى إحدى مرات غيابى عن المنزل معطفا من معاطفى

الثمينة لأحد معارفها لا لشيء إلا لأنني كنت احبه وافضل لبسه على سائر معاطفي ! ! ولست انكر انها كانت تضايقني أشد المضايقة ، وتؤلمني أشد الألم ، ولكنني كنت احتمل مضايقتها لي ، ومشاكستها إياي ، كما لو كان هذا العمل برغم ارادتها ، ولم اكن اتذمر منها او أشكو سوء تصرفاتها إلا كتذمري من جو سيء او مرض مفاجيء . وكثيرا ماحاولت ان انفي عن نفسي كل التهم التي كانت توجهها إلى باستمرار ، ولكنها كانت لاتصدقني ، وتأبى أن تعيرني أى التفات . ومع ذلك كنت اكتفي بهز كتفي ولا آبه بها أو أهتم لاتهاماتها العديدة المتكررة . ولم يكن يؤثر في نفسي هذه المنازعات الدائمة ولاتلك المناوشات المستمرة بيننا . وفي بعض الاحيان كنت افكر فيما اذا كان الحب القوي ام البغض الشديد هو الذي يدفعها الى كل ذلك . ولكن كان يخيل إلى ان الحب والبغض معاً هما الدافع لكل هذه الغيرة الممقوتة العمياء . .

وبعد ان استراح الروسي فترة وجيزة قال :

ـــ وفي ذات ليلة استيقظت من نومي على أثر سماعي صرخة حادة صدرت من زوجتي التي كانت تنام معي في غرفة واحدة . ولما سألتها عن سبب هذه الصرخة التي أقضت مضجعي وأطارت النوم من عيني ، قالت لي وهي ترتعد من شدة الخوف والرعب انها حلمت بأنني كنت احاول قتلها . ولقد كنا نقطن في ذلك الوقت في الطبقة العليا من منزل مرتفع شامخ البنيان . وكان هذا المنزل يطل على بئر متسعة عميقة الغور . فحلمت زوجتي أنني أمسكت بها على اثر وصولنا ـ هي وانا ـ الى منزلنا ذات ليلة ثم حاولت أن ألقي بها فيه من نافذة الغرفة التي كنا ننام فيها ، وهذا يعني بالطبع موتها المحقق لأن منزلنا كان مكونا من طبقات ثلاث . وبالرغم من أنني حاولت تهدئتها وإبعاد هذا الخاطر المزعج عنها ، إلا انها ظلت ترتجف في فراشها من هول ما كانت تشعر به من الفزع والرعب

وفي صباح اليوم التالي واليومين اللذين أعقباه أشارت زوجتي الى هـذا الحلم حتى أيقنت تماما أنه قد استقر في عقلها الباطن ، وحتى أنا نفسي لم اكن أقدر ان أبعد هذا الطيف عن رأسي لأنه هداني الى شيء لم اكن افكر فيه من قبل . فزوجتي تظن انني اكرهها وأنني احاول لهذا السبب التخلص منها ، ولاشك انها كانت تعرف ان عشرتها لايمكن ان يحتملها رجل مثلي في الحياة وانه لابد أن يأتي اليوم الذي أفكر فيه من الافلات من قبضتها ، ومن هنا تولد في قلبها الخوف من أنني سأقتلها في يوم من الأيام . وأظنك تعرف ان للرجال آراء لاتعد ، وأفكارا لاتحصى ، واننا كثيرا مانخجل من التصريح ببعض الآراء الغريبة التي تستقر في نفوسنا . ففي بعض الاحيان كنت اتمنى ان تهرب زوجتي مع أى رجل كان ، وفي أحيان أخرى كنت اتمنى أن تصاب بعلة وبيلة تقعدها عن الحركة وتشلها عن الكلام ، أو يأتيها موت مفاجيء يخلصني منها الى الأبد . ولكني

لم اكن أفكر مطلقا فى ان أحاول قتلها يوما ما . ولقد كان لهـذا الحلم الرهيب أثر سيء فى نفسى وفى نفس زوجتى لأنه أزعجها وأقلق راحتها من ناحية ، وضايقنى التفكير فيه من ناحية أخرى . بل اننى كنت لا أملك نفسى كلما أطللت برأسى من نافذة الغرفة التى كنا ننام فيها من القاء نظرة الى البئر ثم أضحك ضحكة عصبية مخيفة حينما اتبين أن من السهل علىّ ان القى بزوجتى من هذا العلو الشاهق دون أن يرانى احد ، أو يشعر بفعلتى انسان ! وكثيرا مافكرت أن ابعد عنى هذه الفكرة فكرة قتل زوجتى ، ولكن بلا فائدة . .

وتوقف صاحبى عن الحديث برهة استعاد فيها رباطة جأشه ثم قال :

— ومضى على هذا الحلم ثلاثة شهور . وفى إحدى الليالى أيقظتنى زوجتى من نومى . وكنت لا أزال حينئذ تعباً منهوك القوى ، وقالت لى ان ذلك الحلم المريع قد عاد أليها فى تلك الليلة مرة أخرى . وكان وجهها وهى تقول لى ذلك يحاكى فى شحوبه وصفرته وجوه الأموات ، وقد رأيتها ترتعد من قمة رأسها الى أخمص قدميها ، وكان عرق الخوف البارد ينصب بغزارة من جسمها الذى كان يهتز كريشة فى مهب الريح . ولم تلبث أن اندفعت بالبكاء فجأة ثم سألتنى : «هل تكرهنى ؟» فاقسمت لها حينئذ بكل القديسين الذين اعرفهم أننى احبها . ولست ادري كيف خدعتها وكذبت عليها فى تلك اللحظة ولكن الذى أدريه ان بالها قد هدأ حينما اعترفت لها بحبي ثم ذهبت فى صمت وهـدوء الى فراشها . وقد ظللت صاحيا طول تلك الليلة . وكنت أتخيل أمامى سقوط زوجتى من هذا العلو الشاهق الى أسفل البئر . وقد تهيأ لى اننى سمعت اولا صراخها ثم صوت اصطدام جثتها وأقول لك الحق اننى لم اقدر ان أمنع نفسى من التفكير فى هذا الأمر ، وقد أصابتنى حينئذ رعدة شديدة لم اتمكن من كبحها . .

وتوقف الروسى عن الكلام ليزيل العرق الذى كان ينصب بغزارة من جبينه القذر . وقد جعلتنى هذه القصة أرهف أذنى لسماعها وأن أنتبه اليها بشغف ظاهر واهتمام عظيم لا سيما لأن محدثى كان يرويها لى بطلاقة وحسن أداء

والتفت الروسى الى زجاجة الفودكا التى كان لايزال يوجد بها بقيـة ، ثم تناولها بيد مرتعشة وأفرغها فى جوفه دفعة واحدة . .

ولما وجدته قد لزم الصمت وأكثر السكوت سألته قائلا :

— وكيف انتهت حياة زوجتك ؟

فارتعد صاحبى لهذا السؤال وأخرج من جيبه منديلا قذرا ومسح به جبهته المبللة بالعرق ثم قال:

— لقد ماتت ميتة شنيعة للغاية . ففى إحدى الليالى وجدت جثتها ملقاة فى قاع البئر وكانت رقبتها منفصلة عن جسدها . .

فدهشت لهذه النهاية السيئة وحدقت النظر فى وجهه ثم قلت :

ــ ومن الذي وجدها ؟

فتجاهل الروسى نظرتى له وأجاب :

ــ لقد وجدها أحد سكان المنزل بعد وقوع هذه الكارثة بوقت قصير . .

وصوبت اليه حينئذ نظرة أحد من الأولى وقلت :

ــ وأين كنت فى أثناء ذلك ؟

فلمعت عيناه الضيقتان ووجه إلى نظرة قاسية وقال :

ــ لقد كنت أقضى الليل مع بعض أصدقائى ولم أصل الى المنزل إلا فى ساعه متأخرة من الليل أو بعبارة أخرى بعد وقوع هذا الحادث الأليم بما يقرب من الساعتين . .

وفى هذا الوقت أحضر الخادم طعامنا الذي طلبناه منه ، فاخذ الروسى يلتهم طعامه بشراهة زائدة ونهم كريه لم أعهدهما فى انسان من قبل . وكان يتناول الخبز بكميات كبيرة ويحشو به فمه الواسع حشواً . .

* * *

وكان علىّ أن أبرح المطعم بعد بضع دقائق لأن قطاري كان على وشك القيام فى تلك اللحظة . فغادرت مقعدى وتركت صاحبى فى مكانه بعد أن ودعنى وداعا حاراً ، ولم تقع عليه عيناى بعد ذلك اليوم

* * *

والآن . . هل من الممكن أن يكون هذا الرجل البدين قد قتل زوجته فى ساعة من سويعات غضبه ؟ ؟ إن مظهره كما اتضح لى لايدل على أنه مجرم بل اننى لا أصدق أنه يملك من الشجاعة مايكفى للقيام بهذا العمل الاجرامى الشنيع . .

ومهما يكن من الأمر فاننى مازلت أجهل للآن ما اذا كان هذا الرجل قد قتل زوجته أم لم يقتلها



كتب الشهر الجديدة

١ — قصة الفلسفة الحديثة . جزءان . لاحمد أمين وزكي نجيب محمود (ص ٣٢٠ و ٣٨٨ متوسط)

٢ — اللذة والالم . لاسماعيل مظهر (ص ٢٥٨ كبير)

٣ — أوراق متناثرة . لصلاح الدين كامل (ص ٨٥ متوسط)

٤ — أعلام الفكر الفرنسي . لحبيب سعيد (ص ١٨٤ متوسط)

٥ — مريم المجدلية . لمايترلنك وترجمة أنطونيوس بشير (ص ١٢٤ متوسط)

٦ — عبقر . لشفيق معلوف (ص ١١٢ متوسط)

هذه المجموعة الستة من الكتب كلها حسنة . تليق لأن يقتنيها قراء المجلة الجديدة . فان قصة الفلسفة هي خلاصة ممتعة للفلسفات الحديثة منذ عصر النهضة إلى وقتنا الحاضر . والقارىء يجد تفصيلات مفيدة عن بيكون وديكارت ومالبرانش وسبينوزا وليبنتز ولوك إلى سبنسر ونيتشة . وهذا غير الاحياء أو المعاصرين مثل برجسون وكروتشي ورسل وسنتيانا وجيمس

والأستاذ أحمد أمين عميق فى ثقافته العربية القديمة وخاصة العصر العباسي . يعرفه القراء بكتابه العظيم « ضحى الاسلام » وتفكيره فى ايجاد مثل هذه الخلاصة الفلسفية الحديثة برهان على أنه يقدر الثقافة الحديثة ويعرف قيمتها للاتزان الأدبي فى مصر . والأستاذ زكى محمود من أحسن شبابنا الذين يدرون قيمة النظر الحديث . وتكاتف المؤلفين على اخراج هذا الكتاب هو شركة بارة تزكيها حاجات الجيل الناشىء . والكتاب فى لغته وصوره وطبعه يقرأ فى سهولة بل لذة

أما « اللذة والألم » للأستاذ اسماعيل مظهر فيعالج موضوعا دقيقا لفيلسوف اغريقي يدعى أرسطبس . وقد انتقلت هذه الفلسفة إلى أثينا من قورينة (بافريقيا) ثم الى الاسكندرية . وقد قال المؤلف « شاء القدر أن يظل مذهب أرسطبس غير معروف عند العرب الا لماما . شأن أكثر المذاهب التى تفرعت عن دوحة سقراط العظيم . وشاء القدر ألا يحاول أرسطوطاليس أن يذكر اسم أرسطبس . بالرغم من أنه ناقش فى مذهبه مناقشات طويلة فى كتاب الأخلاق إلى نيقوماخس. بل وأخذ ببعض مبادىء المذهب القوريني . حورها وأدمجها فى مذهبه »

ويبحث الفصل الأول العلاقة التاريخية بين مصر واغريقيا . وهو بحث ممتع من ناحيتى التاريخ والفلسفة . ويبحث الفصل الثانى فورينة المدينة الافريقية التى نشأ فيها هذا المذهب . والفصل الثالث يبحث المذهب وترجمة أرسطبس واتصاله بالمفكرين الاغريق . مع التمييز بينه وبين أبيقور الذى تعزى اليه فى العادة فلسفة اللذة . ويلى ذلك فصول عن تأثير هذا المذهب فى الفلسفات الاغريقية القديمة وفى العصر الحديث . وهذا الكتاب مجهود حسن مفيد فى تحرى الاصول لمذهب فلسفى كان له أكبر الاثر فى التفكير الانسانى أكثر من الفى سنة

والانتقال من هذين الكتابين « الفلسفة الحديثة » و « اللذة والالم » الى قصص الاوراق المتناثرة للاستاذ صلاح الدين كامل هو أشبه الاشياء بالخروج من مكتب الدرس الى الملهى للتسلية . فان المؤلف يقص على القارىء قصصا خفيفة يدور محورها فى الأغلب على التصادم بين العوامل العصرية وبين العادات القديمة . أو بين الحرية الشخصية والنظر القديم . والمؤلف أحيانا يغلو وأحيانا يعتدل ولكنه فى جميع الحالات لايثقل على القارىء . وقد عرف قراء هذه المجلة أسلوب المؤلف فى قصص مختلفة نشرت له وكان فيها على الدوام قصصيا لبقا خفيف الروح

واعلام الفكر الفرنسى قد أخرجته مجلة الشرق والغرب . وقد قام الاستاذ حبيب سعيد بالترجمة فقط فى لغة سهلة رشيقة . اما المؤلفون فجملة منهم الآنسة المستشرقة كاترين هنرى . والآنسة المستشرقة بنت الحارث . وهذا غير ترجمتين للكاتب الفرنسى اكويه

وقد تناولت التراجم ديكارت . بسكال . فولتير . روسو . كونت . ريتان . برجسون . باجى

ويعجبنا قول الاستاذ العزيز زكى أبو شادى فى مقدمة هذا الكتاب « من الاحداث الأدبية فى هذا العهد أن تقدم ادارة الشرق والغرب على اخراج هذا الكتاب النفيس عن اعلام الفكر الفرنسى ذلك لأن العادة جرت فى مصر بقصر جهود الجمعيات الدينية مسيحية كانت أم اسلامية على الشئون الدينية الصرفة . وليس من هذه الشئون فى نظر العادة والتقاليد البحوث الادبية الفلسفية . وان خدمت الدين أو التصوف الدينى عن طريق غير مباشر »

والمؤلفون لايتراجعون عن بسط المذهب مهما كانت خطورته أو أثره فى الدين . وهذه شجاعة نادرة ولكن لاندحة عنها لان الدين لايمكنه أن يعيش الابمواجهة الفلسفة والانتفاع بها . وهى الوحيدة القادرة على حل مشكلاته

ومريم المجدلية درامة تتناول قصة يسوع المسيح . والمؤلف البلجيكى مترلنك يعالج هذا الموضوع وهو بعيد عن روح التصوف الدينى . وقد استطاع ان يجعل صورة المسيح بارزة دون ان يظهره على المسرح . والحوار بارع يجرى فى كلمات قاطعة تبين الاخلاق المسيحية الجديدة أمام العالم اليهودى الرومانى . والمترجم قسيس له رتبة « ارشمندريت » وهو أيضا صاحب مجلة الخالدات ولغته سهلة مقبولة

وعبقر قصة منظومة عن عالم الجن . وهى أنيقة الطبع والتصوير . وقد كتب المقدمة الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف عن أصل لفظه عبقر وما قاله العرب عن الجن والعرافة والكهانة . واليك مثلا من بعض الأشعار .

قلت لشيطانى أمن خالق	بوزت لى أم من شقوق الثرى
فقال انى جئت من بقعة	خافية تدعونها عبقرا
تسوس فيها الجن عرافة	ترى بزجر الطير مالا يرى
الشعر ولاها شياطينه	فسادت الموجل والهوبرا
ساحرة مطلسم مسحها	تطوى به الأجيال والا عصر
تقفو المعالى أثرها كلما	أحجبت المندل والعنبرا
جن من النور جلابيبها	فى كل سعلاة ترى نيرا
تضطرب الارض متى اقبلت	قاذفة عزيفها المنكرا
فقم بنا صاح الى عبقر	نؤم ذاك المجهل الموعرا

فكرة الموسوعة العالمية

هذه رسالة صغيرة انجليزية وضعها المستر ه . ج . ولز عن تأليف موسوعة يقوم بها العلماء الاخصائيون فى العالم كله لأجل شعوب العالم جميعا . وهو يرى أن المعارف الانسانية تحتشد الآن فى المجلدات على غير نظام وأن الناس لايجهلونها فقط بل هم احيانا غير قادرين على استغلالها ، ولذلك يرى المستر ولز أن تؤلف هذه الموسوعة التى ربما تكلف بضعة ملايين من الجنيهات ثم تبقى هناك هيئة دائمة من العلماء الاخصائيين لتجديدها . وهذه الموسوعة تعود مرجعا لأبناء الأمم قاطبة وتترجم الى اللغات الوطنية حتى يمكن أى انسان أن ينتفع بها . وقد سبق للمستر ولز أن ضرب على هذا الوتر ألحانا مختلفة . فانه فى إحدى قصصه الطوبوية يتخيل دارا للنشر تعمم العلوم والثقافة الحديثة . وقبل أشهر عقد فى لندن مؤتمر حضره المستر ولز وكان من الموضوعات التى عالجها الأعضاء ايجاد موسوعة للثقافة اليسارية يسترشد بها المجددون فى انحاء العالم حتى لايستغل الرجعيون الجهل العام ويتحكموا فى عقائد الشعوب . واشترك المستر ولز فى المناقشة ثم ترك الاجتماع وهو غاضب بعد أن قال ان مثل هذه الموسوعة تحتاج الى ثلاثين مليون جنيه . والذين رافقوا ولز فى جهوده الاصلاحية الثقافية منذ ثلاثين عاما لايكادون يجدون شيئا جديدا فى هذه الرسالة . فانه رجل عالمى يطلب السلام وايجاد دولة واحدة فى العالم وهو يؤمن بان العلم يمكنه أن يعمم السعادة ويحل جميع المشكلات

في الحياة والعمل

بقلم سلامه موسى

حماية العمال

لما عقد المؤتمر الوفدى قبل سنتين أو ثلاث وضع فى برنامجه الاصلاحى مواد خاصة باصلاح الأحوال العامة للعمال فى الزراعة والصناعة . ثم عند ما ألفت الوزارة الوفدية عادت هذه إلى تأكيد وعودها فى خطبة العرش . وقامت وزارة التجارة والصناعة بالفعل بدرس بضعة مشروعات بغية تقديمها للبرلمان لكى تصير قوانين

ولا يشك أحد فى أننا ازاء نهضة صناعية تزداد نمواً فيجب أن ندرس جميع التطورات الحسنة والسيئة التى يمكن أن تصيب عمالنا حتى نستطيع اصطناع الحسن وتجنب السيىء

والوزارة الوفدية التى لا تستند إلى أي سند سوى رضى الجمهور عنها وثقته بأنها تخدم مصالحه وتعمل لرقيه لا يمكنها أن تهمل العمال وهم كثرة الأمة كما هم أقل طبقاتها استمتاعا بألوان الحضارة التى دخلت بلادنا منذ أكثر من مائة سنة . ولذلك يحسن بنا أن ننظر فيما تم من الاصلاحات للعمال وماذا ينتظر اتمامه

فان عندنا الآن أربعة قوانين تحمى العمال بوجوه مختلفة هى :

١ — قانون ١٩٣٣ الذي يمنع استخدام الأحداث فى الصناعة
٢ — قانون ١٩٣٣ الذي يحدد الصناعات التى لا يجوز استخدام النساء فيها
٣ — قانون ١٩٣٥ الذى يحدد ساعات العمل فى بعض الصناعات الخطرة أو المضرة بالصحة
٤ — قانون ١٩٣٦ الخاص باصابات العمل

أما المشروعات التى تنظر فيها الوزارة الحاضرة بغية موافقة البرلمان عليها حتى تصير قوانين فهى :

١ — عقد العمل الفردى
٢ — تحديد ساعات العمل وميعاد الاغلاق للمتاجر يومياً وأسبوعيا
٣ — النقابات
٤ — التأمين الاجبارى لأصحاب المصانع من الاصابات التى تقع لعمالهم
٥ — عقد العمل المشترك
٦ — التأمينات الاجتماعية

فالقوانين التى تمت أربعة . والمشاريع التى تدرس ونرجو أن تكون قوانين ستة . ولا يمكن

الا أن نغتبط بهذه النتيجة . وكل ما نرجوه زيادة السرعة فى درس هذه المشروعات حتى تصير قوانين يتمتع بها عمالنا

وهذه المشروعات تختلف من حيث الأهمية . وعندنا أن أهمها جميعا هو مشروع النقابات الذى يجب أن يعترف بها بأسرع وقت . وقد أخرج الفلاحون منها ولسنا نعارض فى ذلك . فان الفلاحين قد انتظروا القرون فلا بأس عليهم لاعتبارات مختلفة إذا انتظروا السنوات . ولكنا نظن ان اخراج الخدم من عداد العمال الذين ينتظمون فى النقابات ليس حسناً . ففى القاهرة مالا يقل عن خمسين الف خادم ليسوا دون سائر العمال فى الحقوق والسلوك . وانتظامهم فى النقابات يزيد الامن العام

والنقابة لا تكفل للعامل امناً على عيشه فقط بل هى تكفل أيضاً للهيئة الاجتماعية اطمئنانا على السلامة العامة ، والعامل الذى ينتظم فى النقابة يحترم نفسه ويفكر فى مستقبله . وهو أبعد الناس عن الفوضى والاجرام

ما سائر المشاريع فيمكن التمهل فى درسها أو الابتداء فيها بالهيكل قبل الجسم فان مشروع التأمينات الاجتماعية يمكن أن نبدأ فيه من الآن بشرط أن نأخذ منه الهيكل حتى اذا تقدم رقينا الاقتصادي فى الصناعات أمكننا أن نتوسع فيه مع التدرج . وليس كبيراً علينا أن نضع هذا الهيكل لمعاشات الشيخوخة ولتأمين العمال من العطل والمرض مع التواضع والنظر لحدود الميزانية

ولكن يؤسفنا أن المجلس الأعلى للعمال يتردد فى الموافقة على هذه المشاريع ويحسب أن قبولها يعد تطرفا . لأن رفض هذه المشاريع هو التطرف وهو تطرف خطر لأنه فى ناحية الرجعية .

ولسنا نظن أن فى مصر من يعتقد أن الحال التى يعيش فيها عمالنا سواء فى الريف أو المدينة هى مما يحسن السكوت عليه سواء اعتبرنا هذه الحال فى الأجر الذى يكسبون أم فى المسكن الذى يسكنون أم فى غير ذلك . وكل مصرى يجرى فى عروقه الدم الذى يجرى فى عروق هؤلاء العمال لا يمكنه إلا أن يحث الوزارة على الاسراع فى سن القوانين التى تحميهم وتجعلهم يصلون الى القليل من متع الحضارة

حضارة اسوج

قل أن نسمع خبرا عن أسوج أو نروج أو دنمارك لان هذه الأقطار الثلاثة الاسكندناوية ، بعيدة عن الاشتباكات السياسية . وهى خلو من المستعمرات لكل منهن جيش مصغر لا يجدى فى الاعتداء بل لعله لا يجدى كثيراً فى الدفاع . ولكن هذا النشاط الذى منع من الظهور فى

الخارج انكفأ الى الداخل يعمل فى اصلاحات تجعل سكان هذه الأقطار الثلاثة فى مقدمة الامم رفاهية وثقافة ونظاما

ونحن الذين نقرأ كل يوم هذه الانباء السيئة عن التصادم بين الفاشية والشيوعية والحرب الأهلية فى اسبانيا ومكافحة الثورات التى بعثتها المطامع الاستعمارية والجشع الامبراطورى فى الهند وفلسطين والصين والازمات الاقتصادية التى لا تنقطع والاضطرابات بين العمال ونحو ذلك قلما نلتفت الى مايجرى فى قطر صغير ناء مثل أسوج . مع أن مايجري فيه من اصلاحات اجتماعية واقتصادية تستحق منا الدرس العميق . لان هذه الاصلاحات جعلته يتخطى جميع المصاعب التى تعانيها أوربا بل جعلته أنموذجا للسعادة التى تثمرها السياسة الرشيدة فى ستة ملايين من السكان السعداء

وأحسن ما فى أسوج أن الاسرة المالكة فيها ديمقراطية . وهى لا تكلف الحكومة أكثر من ثمانين الف جنيه فى العام . وهى تصون التقاليد الحسنة بين الأسر الغنية وتعمم الذوق الفنى العام فى البناء واللباس والولائم والحفلات كما أنها تحول دون الطفرات التى يبعثها من وقت لآخر النظام الجمهورى

وفى ظل هذه الملوكية الديمقراطية استطاعت أسوج أن تحقق طائفة من الاصلاحات التى تغبط عليها والتى يجد مثلها أشد المقاومات فى الأقطار الأخرى . فان الحركة النقابية متقدمة خالية من الغلو الخيالى . وزعماؤها يتوخون الرقى الاقتصادى للعمال دون التطوح فى الامانى البعيدة التى تعرضهم للمقاومة العنيفة من الأحزاب الاخرى كما وقع فى ايطاليا والمانيا . وقصارى ماتطلبه هذه النقابات الضمانات الواقية أزاء المرض أو العطل أو الشيخوخة أو الاقعاد

ولكن النقابات التى تعرف أن هذه الضمانات تحتاج الى مبالغ كبيرة من المال تعرف أيضا أن الحكومة لكى تقوم بها يجب أن تكون مواردها كبيرة . وهى لهذا السبب تحض الحكومة على القيام بمشروعات مختلفة تعود عليها بايرادات كبيرة كما تحضها على فرض الضرائب حيث يكون هذا ممكنا وغير مرهق للصناعات الحرة . ومع أن الحكومة الاسوجية تقوم بصناعات مختلفة . فانها قلما تنفرد بها على طريقة الاحتكار . ولكن ليست زيادة الايراد هى الغاية الوحيدة من الاحتكار . فان الحكومة الأسوجية كانت فى أحوال كثيرة ترى أن واجبها يقتضيها انشاء المصانع أو الاشتراك فى ادارة المصانع الحرة القائمة عندما كانت تجد غلاء فى الأثمان يضر بالجمهور

مثال ذلك انها لكى تحصل على ايراد يكفى معاشات الشيخوخة للمسنين عمدت إلى الشركة المحتكرة للدخان والسجاير فاشتركت معها وحددت أقصى ربح للمساهمين بخمسة فى المائة . ولكنها لم تختر هذه الشركة بالذات الا لأنها كانت قد أرهقت الجمهور بأثمانها الفاحشة

وتحتكر الحكومة أيضا صناعة الراديوفون . وهى هناك تشترك مع المصانع الحرة التى تصنع الأجهزة كما تشترك مع الصحف . أى انها هنا كما فى صناعة الدخان والسجاير — لا تحتكر بل تشترك مع المصانع الحرة فى الاحتكار وبحدد الربح لحملة الأسهم

وهى تفعل مثل ذلك فى صناعة الخمور . وتشترك مع ١٢٠ شركة تعمل فى الصناعة والتجارة . وقد انتفع الجمهور بهذا الاحتكار لأن الرقابة الحكومية أصبحت شديدة على الخمور وأصبح لا يجوز لأى شخص أن يشترى خمراً ما لم يحمل دفتراً يراعى فيه عدد أفراد الاسرة وأعمارهم حتى لا يؤذى أحد نفسه بالاسراف فى تناول المشروبات

وتحتكر الحكومة أيضا — على طريقة الاشتراك مع الشركات — صناعات الخشب والمعادن والقوة الكهربائية من مساقط المياه . وهذا بالطبع غير السكك الحديدية والتليفونات والتلغرافات

وقد استطاعت الحكومة الاسوجية بهذه الاحتكارات المختلفة أن تزيد ايرادتها وهى فى الوقت نفسه توقت النظم البيروقراطية المعطلة لانها لا تحتكر التجارة أو الصناعة احتكارا كليا تاما . بل تقوم ببعض العمل بنفسها وتقوم الشركات الحرة ببعض آخر وعندئذ يعود كل من الفريقين رقيبا على الآخر . فلا يمكن الشركة أن تستبد بالعمال أو الجمهور كما لا يمكن الحكومة أن تهمل الربح

وبهذه الطريقة استطاعت أسوج ان تهىء لاوربا حضارة جديدة لا هى فاشية ولا هى شيوعية بل هى ليست اشترا كية . ولذلك لا نسمع عنها أخبارا سيئة كالاضرابات التى لا تنقطع وتأليف الجبهات خشية الوثبات الديكتاتورية أو نحو ذلك

الفراعنة وألمانيا

كان المرحوم اقلاديوس لبيب قد جمع طائفة من الكلمات المصرية القديمة وقابلها بكلمات انجليزية تؤدى معناها وتشاركها فى اللفظ . وكان يستنتج من هذه المشاركة وحدة الأصل بين اللغتين الانجليزية الحديثة والفرعونية القديمة

وقد استطاع المرحوم اليوت سمث الذي مات فى الشهر الماضى أن يثبت وحدة الأصل ليس فى اللغة بل فى السلالة بين مصر وانجلترا . اذ قابل بين الجماجم المصرية القديمة وبعض الجماجم الانجليزية الحديثة فوجدهما تتحدان

ومعروف أن المصريين رحلوا الى اوربا فى فترات مختلفة وأفشوا حضارتهم لا بل حضاراتهم المتعاقبة فيها . بل يرجح أن أول من سكن جزيرة كريت هم المصريون اذ أن هذه الجزيرة تخلو

من آثار العصر الحجرى أى، انها لاتمرف الانسان البدائى . والحروف المصرية القديمة واضحة كل الوضوح فى هجائها كما أن حضارتها مشبعة بالتقاليد المصرية القديمة

وأمامى الآن كتاب قديم عن الآثار المصرية لمؤلف انجليزي يدعى فيليرز ستوارت . وقد عقد فيه فصلا عن الأصل المشترك بين اللغة المصرية القديمة وبين الالمانية والانجليزية واللاتينية واليونانية وفى هذا الفصل جداول عن هذه الألفاظ التى تدهش القارىء بالمطابقة بين لغة أسلافنا وبين هذه اللغات الأوربية وخاصة بينها وبين الالمانية . وليست هذه المطابقة قائمة على مشابهة صوتية فقط . فان المؤلف لايقنع بذلك اذ هو يأخذ جذرا لغويا من اللغة الفرعونية فيجد أن مشتقاته المجازية تتطابق أيضا . ولا يمكن أن تكون المصادفة هى السبب لهذا التطابق . فانه يمكن أن تؤدى المصادفة الى الاشتراك فى كلمتين أو ثلاث ولكنها لاتؤدى الى المطابقة فى المشتقات من هذه الكلمات اذ لكل أمة عقلية خاصة تجعلها تختار من المعانى مايتفق ومزاجها ويختلف من مزاج غيرها

فقد عمد المؤلف الى جذر لغوى من المصرية القديمة هو لفظة « مين » الذى يعنى الثبات والبقاء والرسوخ . فوجد لهذه الجذر مشتقات فى اللاتينية وفى اليونانية وفى الانجليزية والفرنسية . وكذلك الحال فى ألفاظ أخرى

واليك بعض الالفاظ التى تشترك بين الفرعونية وبين الالمانية

فرعونية	ألمانية	عربية
موت	موتر	أم
اشت	ناشت	نور (النون للنفى)
اشت	اشتويج	شرف
ليب	ليبا	الحب الجنسى
ساو	ساوفن	يشرب
لبو	لفو	أسد (لبوة)
نين	ناين	لا
أب	هاوبت	رأس
سام	سامت	معاً
اربا	ارب	امير
هر	هر	سيد
سيه	سى	هم
مير	مير	البحر
زيم	ناهمه	اسم

هذا بعض مانقلته من المؤلف . ويرى القارىء أن الكلمات تدل على المعانى البدائية التى تشترك فيها الأمم القديمة اذا كانت من أصل واحد . ولفظة ناشت الألمانية تعنى الليل أى الظلام وهو نفى النور اشت . ونحن نقول الآن الهر هتلر ونظن أننا نستعمل لفظة ألمانية هى هر بمعنى سيد ولكن المصرى القديم كان يستعمل اللفظة الالمانية كما هى الآن لأنها لفظته أيضا

وليس معنى هذا أن الألمان هم الذين أنشأوا حضارة مصر كما يقول بعض دعاتهم . وانما هو يعنى أن المصريين القدماء والآريين عامة سواء منهم الجرمان أو غيرهم قد نشأوا من أصل واحد . ومن هنا نستنتج أننا أمة أوربية الأصل

مصر والسلام

قبل ثلاثة أشهر افتتح فى بروكسل عاصمة بلجيكا مؤتمر للسلام العالمى حضره عن مصر ثلاثة هم الآنسة نعيمة الأيوبى والسيدة إستر فهمى ويصا والأستاذ جورج حنين وحضره مندوبون من سائر الأمم بلغوا ٤٩٠٠ مندوب ولم يجد هذا المؤتمر من الصحف المصرية الاهتمام الذى يستحق مع أن مركز مصر الحاضر قد جعلها مسئولة عن السلم فى العالم . كما أن الاستقلال الذى حققناه بالمعاهدة بيننا وبين بريطانيا قد ألقى علينا تبعات عالمية لم نكن نضطلع بها من قبل وهذه التبعات تقتضى منا أن نسأل أنفسنا هل نحن للخير أم للشر فى هذا العالم ؟ هل نحن للسلم أم للحرب ؟ هل للبناء أم للهدم ؟ وهل العالم سيزيد شراً أو خيراً باستقلالنا ؟ أو هو سيزيد ثراء أو فقراً

إننا مسئولون عن الاجابة الصحيحة لهذه الأسئلة . ولذلك يجب أن نتجه اتجاها جديدا فى درس الوسائل التى تضعف النزعات الحربية وتخدم السلم العالمى . فان مذهب الحرب الذى يؤمن به موسولينى ويجلجل به فى خطبة يجب أن يكون بعيدا عن أذهاننا وقلوبنا وان تتجنبه مدارسنا وصحفنا وان نعلم صغارنا وشبابنا أن شعار الأخلاق السامية بين الأمم ليس التنازع للبقاء بل التعاون للبقاء

ولسنا نتعامى عن موقفنا الحاضر من حيث أننا قادمون على عصر جديد يطالبنا بالاستعداد الحربى للدفاع عن الوطن . فان هذا الاستعداد هو قبل كل شىء « للدفاع » وليس للهجوم . وقد قضت الاقدار ان تجاورنا أمة يقودها زعيم يناقض دعوة المسيح إلى السلم ويؤلف لأبناء الايطاليين إنجيلا جديدا عن الحرب . وما دام هذا الزعيم فى زعامته فاننا فى حاجة إلى خدمة السلم بتقوية الدفاع عن بلادنا . ولا لوم علينا

وليست نكبة العالم هذا المذهب الحربى الذى يدعو اليه مثل هذا الزعيم فقط بل هى أعمق من

هذه الجلجلة الخطابية وهى تعود إلى مشاكل اقتصادية يجب علينا أن نتوقاها وأن ننظر بعين العطف بل الحب للامم التى وقعت فيها ونرجو لها الخلاص منها دون أن نتورط فى حروب قد يكون فيها القضاء على الحضارة ، هذه الحضارة التى نسير نحن فى موكبها وعلينا قسم من التبعة فى بقائها ورقيها

ولا يمكن أمة أن تستهين بالحروب مهما كانت بعيدة عنها من حيث الاقليم. فان الدنيا بالمخترعات الجديدة قد صغرت . وهذه الدولة العسكرية — اليابان — التى كانت تنفصل منا قبل مائة سنة بسفرة شاقة فى السفن لاتقل عن ثلاثة أشهر قد أصبحت لاتبعد عنا أكثر من يومين بالطائرات . وهذه هو الشأن فى جميع الامم فان المواصلات بينها قد قصرت وقد اشتبكت جميعها بعلاقات اقتصادية تجعل الحرب العسكرية أو الازمة الاقتصادية التى تقع فى احدي القارات تعم الدنيا كما رأينا فى الحرب الكبرى سنة ١٩١٤ أو فى الازمة التى انطلق غبارها الأول فى نيويورك فى سنة ١٩٣٠

ولهذا السبب لايسع المصري أن يقول : دعني وشأني . فان شأنه هو شأن العالم ومصلحة السلام العالمي هى مصلحته . فاذا كنا أنانيين فان هذه الأنانية نفسها تدعونا إلى خدمة السلم . واذا كنا غير انانيين فان الغيرية تقتضينا خدمة السلم . ولذلك يجب ان ندرس مشاكل الامم وأن نقلع عن النظر القروى للعالم وأن نتعلم كيف ننظر نظرا عالميا بحيث نهتم بمؤتمرات السلم ونبعث بمندوبينا اليها وان ندرس عصبة الامم ونعمل لتقويتها بل علينا أن ندرس المشاكل الاقتصادية لكى نعرف مدى اثرها فى السلم والحرب

وهذا المؤتمر الذى أشرنا اليه فى بداية هذا المقال قد انعقد فى سبتمبر الماضى وكانت المبادىء الاساسية التى اتفق عليها الأعضاء وتعهدوا بالدعاية لها :

١ — الاعتراف بقداسة التزامات المعاهدات

٢ — خفض السلاح وتحديده باتفاق بين الدول يحول دون الربح من وراء صنع الاسلحة أو الاتجار بها

٣ — تقوية عصبة الامم لمنع الحروب ووقفها بتنظيم الضمان المشترك والمعونة المتبادلة

٤ — إيجاد نظام وطيد فى نطاق العصبة لمعالجة المشاكل التى تنشأ بين الدول والتى يخشى أن تؤدي الى الحروب

وقد الف فى الاسكندرية « اتحاد أنصار السلام » لخدمة هذه المبادىء . وعنوان هذا الاتحاد هو ٣٩ شارع سعد زغلول بالاسكندرية . ونحن نذكر هذا العنوان لانه بعض الدعاية التى نحب أن

نخدمها . فاننا كما قلنا مسئولون عن السلم العالمي ويجب أن نخدمه . ويسرنا أن تكون لنا جمعية لتحقيق هذا الغرض الشريف يعرفها قراؤنا

دار العلوم و اللغة

اجتمع فى الشهر الماضى نحو ثلاثة آلاف من خريجى وطلبة دار العلوم وطلبوا من وزارة المعارف زيادة مرتباتهم وزيادة الضمانات لاستخدامهم فى المدارس الأهلية . ولا غبار على هذه الطلبات فان كل طبقة يجب أن تسعى لترقية مستواها الاقتصادى . ولكن هؤلاء المجتمعين تجاوزوا حدودهم حين طلبوا من وزارة المعارف الغاء اللغات الأجنبية فى المدارس الابتدائية كما هو الحال فى جميع المدارس الاوربية حتى يقوى التلاميذ فى لغتهم القومية

ذلك ان اقامة المشابهة بين مدارسنا والمدارس الاوربية من ناحية تعليم اللغات الاجنبية غير حقة . وذلك لأن لغتنا العربية لا تكاد تنفعنا أية منفعة فى المخاطبات التجارية مع الامم التى تتجر معنا مثل اليابان أو انجلترا أو فرنسا أو ألمانيا . والشاب الذى يجهل الرطانة الفرنسية أو الانجليزية لا يمكنه أن يطمع فى الحصول على وظيفة فى متجر بالقاهرة أو الاسكندرية

ولو أن طلبة دار العلوم أو خريجيها كانوا يعرفون شيئاً قليلا عن الاقتصاديات المصرية لما استصغروا شأن اللغة الاجنبية . بل نحن نعتقد أن المدارس الاوليه والالزامية يجب أن تعلم اللغة الانجليزية لتلاميذها حتى يخرج منها وهو يدرى بعض ألفاظها ويرطن بها فى القهوة أو المصنع أو المتجر إذا عين فيها خادما أو بائعاً أو صانعاً . إذ هو لا يدرى لعل زبونه الذى يعامله ويتوقف عليه بعض عيشه لا يعرف العربية ! وليس معنى الاستقلال أننا نستكبر على تعلم اللغات الاجنبية !

هذا من ناحية التعليم الابتدائى والالزامى ومن حيث فائدة القليل من اللغة الاجنبية . أما من ناحية الفائدة فى اتقان لغة أجنبية حديثة فهذا لا يمكن أحد انكاره . بل نحن نعتقد ان المصرى المثقف لم يصل إلى ثقافته إلا بعد اتقان تام لاحدى اللغات الاجنبية الحديثة مثل الفرنسية أو الانجليزية . وهو حين يجهل هذه اللغة الاجنبية الحديثة يعد منقفاً بل هو فى هذه الحال يخشى ضرره أكثر مما يرجى نفعه عند ما يعبر عن رأيه فى الشئون الوطنية أو العالمية . ولعل هذا هو بعض ما يعاب على طلبة وخريجى دار العلوم التى أهملت دراسة اللغات الاجنبية الحديثة

ودار العلوم تخرج للمدارس المصرية معلمى اللغة العربية . والشائع أن اللغة العربية قد تقدمت

على أيديهم . وهذا يخالف الحقيقة الواقعة . فان لغتنا لم تتقدم بتاتا فى مدارسنا . وهى من حيث الطرق التى يتبعها المعلمون فى ركود لا تخرج منه . بل يمكن أن يقال انها مادة مكروهة . وان الطالب المصرى حين يترك المدرسة لا يكاد يفتح كتابا فى الادب العربى القديم لانه قد كره هذه المادة لسوء الكتب والطرق التى استعملت فى تعليمه لها

بل نستطيع أن نسأل : من هم المؤلفون من خريجى دار العلوم وما هى مؤلفاتهم التى أثاروا بها العقول أو حمسوا بها القلوب وما هو فضلهم على الشباب الحديث ؟

ان الاجابة الصريحة على هذه الاسئلة انه ليس لهم فضل وليس لهم مؤلفات ولا يرجى أن ترتقى اللغة العربية على أيديهم أو ينتعش الادب العربى بجهودهم

والسبب لذلك جهلهم للغات الاجنبية الحديثة وأن أذهانهم لذلك غير مزودة بالثقافة الحديثة . وجميع المؤلفات العربية الحديثة انما وضعها ولا يزال يضعها مؤلفون من غير خريجى هذه المدرسة . بل المؤلفات الخاصة بالادب العربى نفسه قل أن يعرفها — ولا نقول يؤلفها — خريجو هذه المدرسة

وكان يمكن أن ترقى اللغة العربية وأن يشيع الادب العربى لو كانت دار العلوم عنيت بدرس اللغات الاوربية الحديثة درسا متقناً أو كانت ترفض دخول أحد فيها ما لم يحصل على البكالوريا . فانها كانت عندئذ ترقى الى مستوى الكليات فى الجامعة

أما الآن فلا مفر من الاعتراف بأن خريج كلية الآداب فى الجامعة يعرف من الادب العربى واللغة العربية أكثر جداً مما يعرف خريج دار العلوم . ويمكنه أن يدرس هاتين المادتين بأحسن وأدق مما يمكن خريج دار العلوم . ويجب لهذا السبب أن يعاد تنظيم هذه الدار لاستلحاقها بالجامعة

فانها اذا كانت مدرسة عليا فيجب أن تلحق فى الجامعة . وان لم تكن مدرسة عليا فيجب ألا يعين خريجوها للتدريس فى مدارسنا الابتدائية أو الثانوية . فان مدرسى الجغرافيا والتاريخ والرياضيات الانجليزية والفرنسية يؤخذون من خريجى كلية الآداب أو كلية العلوم بعد قضاء سنتين فى معهد التربية وهم بعد هذا الدرس الطويل والمرانة المتواصلة يخرجون على أحسن ماننتظر من المعلم الكفء فى مادته وطريقته . فهل يمكن أن يقول المدافعون عن دار العلوم ان خريجيها يستوون وهؤلاء المعلمين الذين تخرجوا من الجامعة ومعهد التربية ؟

واذا لم يمكن هذا القول فلماذا لا نرقى تعليم اللغة العربية بقصر تعليمها على خريجى كلية الآداب ونشرع من الآن فى الالغاء التدريجى لدار العلوم ؟

نحن والحجاز

برز الحجاز في هذه الأيام بروزا واضحا في الصحف المصرية . فقد تم الاتفاق بين حكومتنا وحكومة الملك عبد العزيز آل مسعود على المسائل المعلقة بشأن المحمل وأوقاف الحرمين كما أننا أوفدنا بعثة مصرية الى الحجاز تنقل الى الحكومة الحجازية — تحيات الحكومة المصرية وتعبر عن الاخاء الذي يربط الشعبين المصري والحجازي

والواقع أنه ليس في العالم العربي كله أمتان تتشابهان في الأخلاق والسحن والعادت واللهجة العربية كما تتشابه مصر والحجاز . حتى السودان لايشابهنا كما يشابهنا الحجاز . فان الحجازى الذي عاش في مكة يمكنه أن يعاملنا في شوارع القاهرة كأنه مصرى ولانستطيع تمييزه منا الا بعدالتدقيق الكبير في الفحص عن الفاظ خاصة في لغته ليس لنا بها الفة

وقد كانت النبوة أو الجفوة التى وقعت بين حكومتنا وحكومة الحجاز من مبتكرات المستبدين الذين كنا نكرههم ونكره مطامعهم وأمانيهم . ولم يكن للشعب المصرى شأن فيها . بل كان على النقيض من ذلك يطلب صداقة الحجازيين

ويجب أن نهتم لاخبار الحجاز هذه الأيام لظروف مختلفة . فان عاهل نجد الذى طرد الملك حسين وأقام نفسه ملكا على الحجاز بدلا منه قد بلغ الثانية والستين من عمره . وهو الآن يقضى معظم وقته في الرياض عاصمة نجد ويترك ادارة الحجاز لاخيه وابنائه . ومع أننا ندعو له بطول العمر فان للاعمار حدودا . وقد أذيع قبل أيام في الحجاز ان الملك أغمى عليه وبقى في الأغماء نحو ست ساعات استفاق بعدها . وهذا انذار سيء يدعو عقلاء الحجاز ونجد الى الحيطة للمستقبل والتهيؤ للطوارىء التى قد تطرأ في أى وقت

فمن الجهة الواحدة لايمكن أن يقال ان الحجاز راض عن حكم النجديين له . فان بيننا من يظن أن عبد العزيز ملك عربى يحكم العرب في نجد والحجاز . ولكن هذا التعميم يتجاوز الواقع لان النجدي يختلف من الحجازى أكثر مما نختلف نحن من الانجليز . وذلك لان النجدى بدوى والحجازي مدنى . والفرق بين البداوة والمدنية أكبر من الفرق الذى ينشأ من اختلاف اللغات . فان النجدى يكره الحرير والدخان والخمر واقامة الاضرحة والحجازى يحب هذه الاشياء كلها ولا يرى فيها عيبا بل هو يرى فيها تنعما وتأنقا . ومن المناظر المألوفة في مكة ان نرى شجارا حاميا داميا بين نجدى وحجازى لان هذا الثانى يدخن سجارة ! . ونرى حجازيا قد بطح على الأرض ودارت

السياط على ظهره لانه ضبط وفى يده كأس من العرق الفلسطيني . . وقد هدم النجديون قبور المسلمين فى ميدان معركة بدر كما مزقوا ستائر الحرير عن الكعبة

والنجدي ساذج فى طعامه يقنع بالتمر وخبز الشعير كما كان يفعل أسلافه قبل عشرة آلاف سنة ولا يزال يسكن الاكواخ والخصاص والخيام فى حين أن الحجازى يعرف المنازل الشاهقة والطبخ التركى . ومحال أن نعتقد المصالحة والاتفاق بين شعبين يختلفان فى أسس العيش كل هذه الاختلافات

ولذلك نعتقد أن بقاء الحجاز تحت سيطرة النجديين لن يدوم إلى الأبد إذ هذا يخالف طبيعة العلاقات بين الشعوب . بل طبيعة هذه العلاقات تقضى الى أن يسيطر الحجاز على نجد لكى يعلمه الحضارة ويمحو البداوة

وانما يمسك الحجاز الآن قوة السيف واذا تراخت اليد القابضة على هذا السيف فانه يخشى انتقاض الحجازيين . وهو انتقاض يجب أن يحسب له من الآن وخاصة لأن صحة الملك عبد العزيز فى شيخوخته الحاضرة ليست كما يحب أصدقاؤه وأولياؤه

وهذه حقائق قد لايليق ذكرها وبعثة الشرف فى طريقها الى الحجاز . ولكنها حقائق يجب أن تواجه وأن تدرس . والحجازيون يتصلون بنا بأكثر من صلة ولهم حق علينا فى الدفاع عنهم . وقد نالو من الحضارة قسطاً كبيراً أيام الاتراك وبحكم الهجرة السنوية التى يقتضيها الحج الى الحرمين المقدسين . ومن أغرب ما يشكوه الحجازيون أن الملك عبد العزيز عندما لا يجد من النجديين من يليق بحكم الحجازيين يستخدم السوريين . وفى الحجاز منهم الآن نحو سبعين سوريا لا يفضلون الحجازيين فى شىء الا أنهم أجانب يعتقدون ولاءهم للملك دون الشعب الحجازى

واعتقادنا أن أعضاء بعثة الشرف يحسنون الاحسان كله اذا هم وفقوا الى افهام ولاة الامور فى مكة والمدينة أن مصر تحب الحجاز وترجو أن يحكمه حجازيون وتحب المدنية فيه وترجو الا تغير عليها البداوة بالمحو أو الانتقاص

عصابة زكى نصر الله

يجري التحقيق هذه الايام فى جناية بل جنايات ارتكبها زكى نصر الله فى زوجته وغيرها بالاشتراك مع آخرين من الاجانب والوطنيين . وكانت هذه الجنايات تقوم على أسلوب لا يختلف هو تأمين حياة الفريسة ثم قتلها للحصول على المبلغ المؤمنة به . وكان زكى هذا يمارس الصيدلة فلم يعجز عن

تقديم السم الموافق لفريسته ولو كان هـذا السم ميكروبا لمرض قاتل لايترك أثرا يدل على جناية . وقد بلغ من جشعه أنه أمن على زوجته بمبلغ ثلاثة وعشرين الف جنيه فى جملة شركات . وقدماتت الزوجة . ولما شرع فى التحقيق مع زوجها انتحر . وها نحن بعد أشهر نرى تحقيقا بل تحقيقات جديدة تعود فى الاصل الى هذه الجرثومة السيئة التى تدعى زكى نصرالله

ولسنا هنا فى مقام التحليل لهـذه الجنايات . فاننا لم نقرأ عنهـا غير النتف الصغيرة فى أخبار الصحف . لكننا نلاحظ شيئا أو شيئين يستحقان النظر . وأول ذلك أن زكى نصرالله هذا كان مسيحيا ثم اسلم . والرجل الذى يترك دينه ـ كائنا ما كان هذا الدين ـ يطلق نفسه من الاخلاق التى ارتبط بها . والأخلاق انما تنشأ بالاجتماع ولـكل انسان روابط اجتماعية تتصل بدينه . فاذا انطلق من هذا الدين تفـكـكت روابطه الاجتماعية وتفـكـكت بذلك أخلاقه . وهوعندئذ لايتقيد بقيود الحياء والضمير والشرف . لان هذه الأنماط الثلاثة تعنى روابط اجتماعيـة لا أكثر . فالانسان يستحيى من الناس وله ضمير بشأن المعاملة مع الناس وله شرف ازاء الناس . وهؤلاء الناس هم قومه الذين يدينون بدينه . ولا يستطيع انسان أن يقول ان له ضميرا أو شرفاً أو حياء لنفسه لان هـذا الـكلام لامعنى له اذ أن هذه الأشياء تقوم على العلاقات الاجتماعية

وقد يقال هنا أن الذى يترك دينه لـكى يعتنق ديناً آخر انما يفعل ذلك عن عقيدة وايمان وحباً فى أبناء الدين الجديد . ولذلك فانه يزداد ضميراً وشرفاً وحياء ولا تنقص هذه الأشياء عنده . وهذا صحيح نسلم به كل التسليم ولـكن هل مثل زكى نصرالله الذي رأس هذه العصابة الملعونة لقتل المؤمنين عند شركات التأمين قد ترك دينه لبواعث شريفة ؟

اننا نعنى فى ذلك ، وكل مانحب أن نقوله أن المسلم أو المسيحى الذى يترك دينه ينسلخ امتلاخا عنيفا من الروابط الاجتماعية التى كانت تربطه . وهو اذ لم يـكن وثيق الايمان بالدين الجديد فان اخلاقه تتزعزع . وهو عندئذ أشبه الناس بالرجل يترك قومه ووطنه ويعيش منفرداً فى وطن آخر مع قوم آخرين . فان انقطاع روابطه السابقة قبل أن تتألف له روابط جديدة تجعله يعيش وهو فى فوضى من الاخلاق

وهذا الاعتبار بل التشبيه يجرنا الى شيء آخر . فان فى عصابة زكى نصرالله عددا غير صغير من الاجانب الذين تركوا وطنهم وعاشوا بيننا وهم ليسوا منا . وهم لهذا السبب لايستحيون أن يرتـكبوا الجريمة الشنيعة . لان الحياء والشرف والضمير هى صفات اجتماعية وهم قد انبتوا من هذا الاجتماع بانتقالهم من وطنهم الى وطننا . ويمكن القارىء المصري أن يتوهم نفسه بين الهندوكيين فى الهند وحيدا ليس له أهل من دينه أو من قومه . فانه يجيز لنفسه عندئذ ويترخص فى أمور لا يرضاها لنفسه لوكان

فى مصر بين بنى قومه ودينه . وهذا هو موقف الرجل يترك دينه أو يترك وطنه . اذ يعود كالمنبت من الناحية الاجتماعية . وهذا الانبتات يفكك أخلاقه تفكيكا

ويجب لهذا السبب أن نخشى هجرة الأجانب الينا . هؤلاء الاجانب الذين يرتكبون الجريمة ولا يستحيون منا كما يجب ألا نشجع أحداً على ترك دينه سواء من الاسلام إلى المسيحية أم من المسيحية إلى الاسلام . ويجب ألا ننسى ان الأخلاق هى روابط اجتماعية تتصل بالدين والقومية . وسرعان ماتتفكك هذه الاخلاق عند ترك الدين أو القومية

زيادة موارد الحكومة

تقتضى التكاليف الجديدة التى سنتحملها سواء من ناحية الدفاع أم من ناحية الترقية الاجتماعية والصحية والتعليمية أن نزيد موارد الحكومة لكى تقوم بهذه النفقات المتزايدة

وبدهى أن الطريق المفتوح أمام الحكومة لزيادة مواردها هو فرض الضرائب الجديدة ولكن هذه الطريقة التى تغرى بسهولتها قد تعود بالضرر العظيم لأنها تؤخر صناعات مبتدئة أو تثقل بعض الصناعات النابتة فتزعزع . وهناك من يتحدثون عن ضريبة الدخل ويضربون المثل بانجلترا حيث تأخذ الحكومة من الرجل الذى يبلغ دخله مائة الف جنيه فى السنة نحو سبعين الفا ولا تترك له سوى ثلاثين الفا . وهذا صحيح ولكن كم فى مصر من الرجال الذين لهم مثل هذا الدخل؟ ثم هؤلاء الذين يذكرون ضريبة الدخل ينسون أن الحكومة الانجليزية تتدرج فيها بحيث لا يكاد يفرض منها شىء على الرجل الذى يبلغ دخله ٣٠٠ أو ٤٠٠ جنيه فى العام

ونحن مع أننا نطلب فرض هذه الضريبة نشك كل الشك فى أن الحكومة ستجبى منها شيئا عظيما وخاصة إذا راعت صناعتنا المبتدئة ولم تثقلها بأعباء تقتلها . وهو ما ينتظر منها . ولذلك نعتقد أنه إذا كنا سنشرع فى فرض ضريبة الدخل فاننا سنبدأ بها ضعيفة فلا نجبى منها شيئا كبيرا إلا بعد السنوات الطوال

وخير من ان تتجه الحكومة نحو الضرائب وتحصر مواردها فيها نظن أنه يمكنها أن تستنير بما يجرى فى الأمم الأوربية أو بعضها . فان الضرائب ليست هى المورد الوحيد للحكومات هذه الايام . وهذه حكومة فرنسا مثلا قد مضى عليها أكثر من أربعين سنة وهى تحتكر الدخان والكبريت وتربح منهما ربحا كبيرا كل عام وهو ربح لو أنها أرادت أن تجمع مثله بالضرائب لأثقلت الجمهور وباءت بغضبه

ويمكن حكومتنا أن تقوم ببعض الصناعات وتحتكرها على هذا النحو لزيادة مواردها من جهة

ولتزويد الجمهور ببعض حاجاته التى يشتريها من الخارج أو يشتريها وهى مغشوشة تؤذيه فى صحته أو ماله . فقد ذكرنا مثلا عيدان الكبريت والدخان ونستطيع أن نذكر مصنوعات أخرى مثل الريون أو الحرير الصناعى الذى نشتريه كله من الخارج . فان الحكومة يمكنها أن تنشىء مصنعاً كبيراً أو جملة مصانع لهذا القماش وتبيع منه ما يغل لها الملايين من الجنيهات . وهذه الصناعة لم تنشأ إلى الآن بمصر فلا بأس على الحكومة من أن تحتكرها

وهذا مصنع الزجاج الذى أنشأته الحكومة للتعليم . فانه يمكن أن يحال الى مصنع لاخراج المقادير العظيمة من الزجاج حتى يستخدم لآنية الشراب والبناء وللأثاث . ولو بيع الزجاج بأثمان منخفضة لاستهلكت البلاد منه ما يبلغ ثمنه الملايين من الجنيهات . فان الريف لا يزال يجهل الزجاج لغلاء ثمنه

ثم هناك الورق الذى يمكن للحكومة أيضا أن تحتكر صنعه وتزويد الجرائد والمتاجر والمنازل حاجتها منه . ويجب ألا نقيس ما سوف يستهلك منه على مقدار ما نستهلك منه الآن . فانه ينقل الينا اى الزجاج أوالريون من أقطار بعيدة فيتحمل تكاليف النقل وخسائرثم يباع لنا غاليا فيقل الاستهلاك . أما حين تقوم الحكومة بانشاء هذه المصانع فانها تستطيع أن تبيع مصنوعاتها رخيصة فيزيد الاستهلاك ويزيد ربحها

لقد ذكرنا عيدان الكبريت والدخان والريون والزجاج والورق . ونستطيع أن نذكر عشرات المصنوعات الاخرى التى يمكن أن تدخل فى احتكار الحكومة ونحن أقدر على هذا الاحتكار من الحكومات الاوربية . لان هذه الحكومات تجد جميع هذه المصنوعات ثابتة فى بلادها لها أصحابها الذين يعارضون فى الاحتكار . أما حالنا فتختلف لان هذه المصانع لم تنشأ بعد فى بلادنا أو هى نشأت فى ضعف لا يستحق أن تعيره الحكومة اهتماما

لقد استطاعت الحكومة أن تجمع نحو مليون وربع مليون جنيه من تبرعات الموظفين للانفاق على الدفاع . ولكنها سوف تحتاج الى أكثر من ذلك كثيرا للدفاع أيضا

فاذا أضفنا إلى ذلك تكاليف التعليم والصحة والاصلاح الاجتماعى فاننا سنحتاج الى الملايين من الجنيهات . وللمكوس الجركية حدود لايسعنا تجاوزها خشية الغلاء . وضريبة الدمغة التى تقوم على المعاملات لن يحسب لها حساب كبير . أماضريبة الدخل فتحتاج الى السنين الطوال قبل أن تعود موردا مفيدا للحكومة كما هى الحال فى أوربا حيث الامم الصناعية التى تجعل لهذه الضريبة قيمة

ولذلك ننصح للحكومة بأن يفكر رجالها الماليون تفكيراً جديا فى زيادة مواردها عن طريق الاحتكار لبعض الصناعات . فان هذا الاحتكار هو الباب الوحيد المفتوح أمامها والذى يرجى منه أن يؤدى الى زيادة الموارد الحكومية زيادة كبيرة

أونامونو

قبل أيام مات كاتب أسباني يدعى أونامونو . وهو من الكتاب الذين يعرفهم العالم الأوربي لا لأنه متفوق فى الأدب ولكن لأنه طريف فى آرائه عن الثقافة والحضارة . ونحن نختار من أقواله كلمة تدل على منحى تفكيره ووجه طرافته للقراء الاوربيين كما تدل على صميم النزاع القائم فى أسبانيا الدامية هذه الايام . وهذه الكلمة هى قوله

« إنه خير لاسبانيا أن تكون دولة افريقية من الطراز الاول من أن تكون دولة أوربية من الطراز الثالث »

وبكلمة أخرى نقول أن أونامونو كان كاتبا رجعيا يحب الملوكية التى خسرت مكانتها فى أسبانيا قبل عشرين أو ثلاثين سنة كما خسرت العرش قبل ست سنوات . وكان صوفيا يحذر أبناء بلاده من الاستسلام للروح العالمى المادى

وصميم النزاع القائم الآن فى اسبانيا هو هذا الذى أشرنا اليه : هل تعيش اسبانيا دولة شرقية « او كما يقول الاسبان دولة افريقية » عليها ملك من أسرة بوربون له أبهة وضجة وقصور وحاشية وفرسان يلمعون على جيادهم فى الشكك العسكرية الزاهية ولها مستعمرات وسفارات وكنائس تطاول السماء وكهنة يعدون بالآلاف ويفخرون بان آباءهم قد فتحوا القارة الامريكية . وهى مع هذا الفخر وهذه الأبهة لا تعرف غير الزراعة يعيش فلاحوها فى الضنك الذى لا تعرفه أوربا قاطبة أم تعيش أمة أوربية متواضعة تعلم فى مدارسها العلوم وتؤسس المصانع وتدرس تنظيم المجاري فى المدن وتكافح أمراض البرتقال فى الريف وتكلف موظفى حكومتها بترقية طعام الناس وملابسهم ومساكنهم ؟

ان أسوأ ماورثته اسبانيا هو تقاليدها . فانها كانت قبل ٤٠٠ سنة اكبر امبراطورية فى العالم تملك قارة امريكا وتجهل مدى ماتملك وكان لها كما هو الشأن فى الامبراطوريات جيش قوى وكنيسة قوية . فكانت الكنيسة تفرض العقائد والجيش يقتل المخالفين لها . فمات فيها الرأي الحر وانفصلت الحكومة من الأمة لأنها أي الحكومة لم تعد فى حاجة اليها . واذا عاشت حكومة دون رقابة الأمة فلابد أن ينخرها السوس وقد نخر السوس . الحكومة الاسبانية حتى اذا كانت سنة ١٨٩٨ رأينا البقية الباقية من امبراطوريتها الضخمة تذهب بانتصار الولايات المتحدة عليها وانتزاعها جزر فيليبين منها

وكانت هذه الهزيمة التى لقيتها اسبانيا بمثابة اللطمة التى تنبه السكران أو النائم فانها استيقظت وتساءلت : هل أنا أمة شرقية ؟

وأجابت بالايجاب . وقام بعض أدبائها ممن يبهرهم التاريخ والتقاليد مثل أونامونو فدعوها الى استبقاء شرقيتها أو كما يقول هو « افريقيتها » ويدعوها الى صوفية الشرق والى كراهة المادية الغربية

فهرست

مارس سنة ١٩٣٧

الاشتراك فى هذه المجلة

فى مصر والسودان سنة كاملة ٤٠ قرشا وسنتين ٦٥ قرشا و ٣ سنوات ٩٠ قرشا
وخارج القطر (داخل الاتحاد البريدى) ١١ شلنا للسنة و ٢٠ شلنا لسنتين و ٣٠ شلنا لثلاث سنوات

ويجب اضافة ١٠ قروش (شلنين) فى السنة لكل مشترك خارج الاتحاد البريدى

١٢ شارع نوبار (مكتب بريد الدواوين) مصر